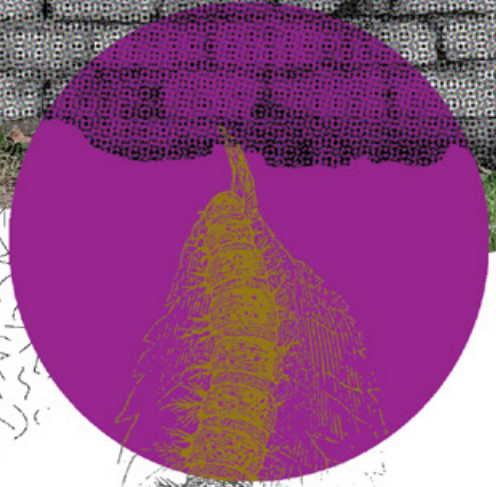
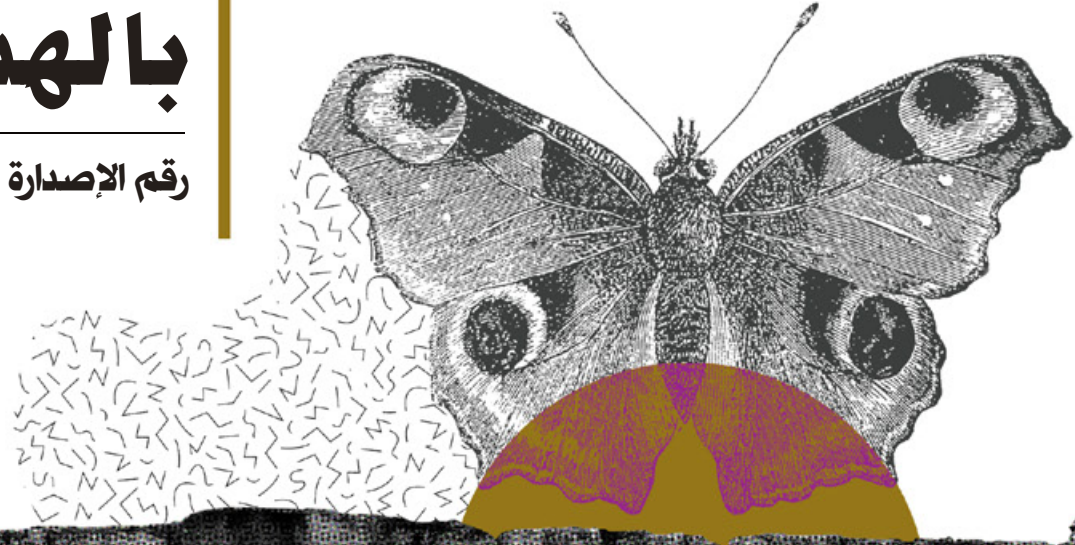


مثقلة بالهشاشة

رقم الإصدار ٧ | فبراير ٢٠١٩



2018

نوفمبر



تحرير:
سالي الحق
مي بانقا



مراجعة وتدقيق لغوي:
نُهير عماد
مها القاضي



تصميم:
ساليينا أباطة



«إن الآراء المذكورة في هذا العدد، تعبر عن آراء كتابها فقط ولا تعكس بالضرورة
آراء وتوجهات مجموعة اختيار وفريق التحرير»



(الترخيص بالمثل- نسب المُصنّف)

المحتوى

- 4 المقدمة
- 6 لم لا أكتب
مجهل
- 9 توقفت عن جعل إنهاكي وسام شرف ارتديه
سندس شبابيك
- 16 السباحة نحو النسوية
زينب مجدي
- 24 العودة إلى البيت
ح
- 29 مقاومة الإحباط
ن.ن
- 33 التحرير عملية عنيفة
نيرة أنطوان
- 38 أنتظر صكاً شريعياً
هند أحمد
- 46 عزة سليمان: حلقة وصل
حوار تجريه دعاء عبد العال مع عزة سليمان

مقدمة اختيار

بدأنا العمل على الإصدار الحالية بدافع تناول مفهوم «الاعتناء بالذات»، محاولين الإجابة على أسئلة مطروحة بين الأفراد والمجموعات المنتمئة للحركة النسوية؛ عما يعنيه المصطلح، وتخييل أشكاله المختلفة، وممارساته، وواقعه في سياقنا المحلي. لكن ككل مرة نتصور فيها بديهية السؤال وإجابته، نستقبل نصوصًا تفاجئنا فيها الكاتبات بكلماتهن المعبرة عن حيواتهن، ويرسمن صورة أكثر تعقيدًا وتشابكًا، ليتطور معها وعينا بأهمية عدم التسليم بالسؤال الواحد والطرح الواحد.

وعلى مدار عام كامل تواصلنا فيه مع نساء مختلفات، طرحت النصوص نقاط عدة، اختلطت فيها مشاعر الرغبة في «الاعتناء بالذات» بالشعور بالذنب، بجانب الوحدة والتعقيدات ما بين العام والخاص.

تصحبتنا هذه النصوص في رحلة لمواجهة مخاوفنا، ورغبتنا في العثور على تلك القصة أو ذلك النص الذي يخبرنا بكل الصعوبات التي مرت بها «فلانة»، ونجت باستخدام خطوات عملية واضحة، يمكننا تطبيقها بسهولة دون الحاجة لمواجهة صريحة مع النفس.

وتتلخص المواجهة الصريحة مع النفس في الاعتراف بأسباب خوفنا من التعبير عن تعبتنا/غضبنا/إحباطاتنا. فهذه المواجهة تكسر الصورة المثالية للمرأة النسوية الرمز (الناجحة)، وطرق قياس النجاح والفشل. فكيف لنا أن نتخيل ممارسة النسوية في ضوء رفضنا لربطها بالبطولة؟!

كانت هذه الإصدار تصر على عدم الاكتمال. لم يكن لدينا عدد كاتبات كافٍ لنشر إصدار. تعتذر كاتبات بعد محادثة وتحديد موعد تسليم لثقل الكتابة عليهن. وخضنا الكثير من المناقشات مع كل كاتبة، هنا وهناك على أطراف ووسط مدينة القاهرة في صحبة حميمة... محادثات نبتلغها مع أقداح قهوتنا ودخان سجائرنا.

أرسلنا الدعوة لنساء مختلفات في نهاية عام 2017؛ كاتبات، وفنانات، وحكاءات، ومحاررات، وأساتذة جامعة، وباحثات، ومحاميات. طلبنا منهن أن يكتبن عما فعلته النسوية بهن، وعن تأثيرها على ممارساتهن اليومية العادية، وعن تجاربهن الخاصة، وعملهن في المجال العام والخاص، في محاولة منا لإعادة طرح أسئلة خاصة بأجسادنا وحيواتنا وهوياتنا وعملنا النسوي.

نكتب مقدمتنا للإصدارة في نهاية عام 2018، بعد الانتهاء من تحرير جميع نصوص الكاتبات، وإنهاء لوجيستيات المراجعة والتصميم. لم تكن بعد تعنونت بـ «مُثقلة بالهشاشة»، ولم نكن نحن ذواتنا مثقلات بكل تلك الهشاشة.

تعاملنا بشكل عملي في البداية؛ إيميلات مُرسلة، وتنسيق، والكثير من الاجتماعات، وانتظار! Procrastination «علوقية». هروب من القاهرة، ثم نوبة قلق من عدم الوجود في القاهرة، والعمل غير المنتهي. وتوصلنا لإدراك أن العمل على هذه النصوص يجعلنا نعيش في صدمة ثانوية، وتثير صدمات خاصة بنا. هذه كلمات تصف أجزاء من حيواتنا، وتحكي قصة أو اثنتين مررنا بها ولم نكتبها.

تحثنا الكاتبات كقارئات على طرح أسئلة أعمق. حتى لو ظنن أنه سؤال فردي يتعلق بعملهن أو حياتهن الخاصة، لكنه في الحقيقة عملية تفكير جماعية، نتشاركها في اختبارنا للنسوية في حياتنا وعملنا، وليس كأيدلوجية منعزلة..

وفرت لنا الكاتبات صورة حية عن استراتيجيات العناد والمقاومة المستمدة من حيواتهن، سواء فيما يتعلق بعملهن، أو علاقتهن بأنفسهن والآخرين. تلك الصور والكلمات ذكّرنا في لحظات كثيرة بما يعنيه أن تكوني وأن تعيشي كنسوية، وجزء كبير من ذلك يعني الاعتراف أحيانا بهشاشتنا، وباحتمالية انكسارنا، ورغبتنا في التعبير عن ذلك دون اعتباره فشلا أو شعورًا بالانهزام.

لكي نتعافى يجب أن نتبع النزيف، وأن نشير إلى الجرح، فقد سمّت الكاتبات الأشياء بأسمائها، وكشفن الجروح وعرضنها للهواء. ونحن جميعًا نعلم أن التعافي في حالتنا هو عملية جماعية تبدأ بصوت واحد، نصًا واحدا، يخبرنا أننا لسنا وحدنا.

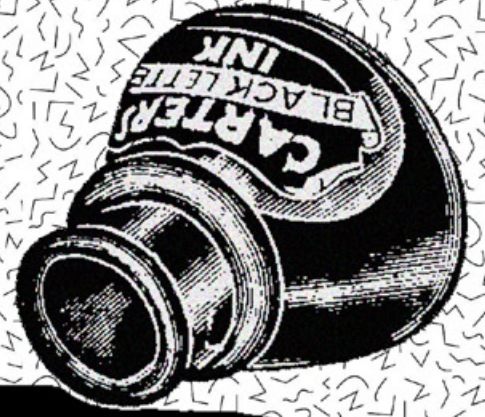
وعندما نقرأ النصوص المقدمة من الكاتبات قد تسمح هذه الكلمات لنا بالتسامح مع الهشاشة والضعف، وتقبل قدرتنا على الانهيار ورغبتنا في الاستمرار، والثقة في حاجتنا لبعضنا البعض، والتزامنا بالاعتناء بأنفسنا وبعضنا البعض من خلال توثيق مشاعرنا بكل تشابكاتها.

نكتب سويا... لئنجو سويا

اختيار

لم لا أكتب؟

كتابة : مُجهل



نبذة عن الكاتبة:

باحثة يسارية نسوية من القاهرة، مشغولة بقضايا العدالة الاجتماعية في المدينة. أكتب وأرسم للتعافي من الحياة، ولفهمها أحياناً. أهوى الجدل، وإزعاج المتنمرين، والنوم.

”بالنسبة لي أن أكتب عن تجربة هو أمر مؤلم، لأن هناك جرح، وفيه قشرة متكونة. لأكتب علي أن أنزع القشرة، وأعود إلى الألم والدم.“¹ جلوريا أنزالدوا

أتذكر حين قررت أن أبدأ الكتابة في إحدى مراحل التعافي من الثورة. لم أرسم خطة واضحة، لم تكن كتابتي لهدف سوى التعامل مع هذا الضجيج الذي يحتل رأسي. وقتها، كلما حاولت الكتابة -عن تجاربي، أو عن المجتمع أو عن الثورة والحياة - أجدني لا أستطيع التفكير بعيداً عن يوم واحد يلح على كتابتي بشكل أو بآخر. يوم مقتل قريبتي وصديقتي الذي يصغرنى بست أعوام كان لها دور كبير في شعوري بمسئولية حمايته. يومٌ تمثلت فيه كل صراعاتي. يوم رأيت فيه صغيري بجسده الذي رفض النمو بشكل يحميه من سخافات الذكور فظل حتى الموت قصيراً نحيلاً كمراهق لم يتجاوز الثالثة عشر ملفوفاً بالبياض بعد أن تلقى رصاصة أهدرت حياته كخسارة جانبية لصراع سياسي كلا جانبيه أبطال وأشرار وشهداء وأوغاد في آن واحد. يوم جلست في ميدان يمتلئ بالآلاف البشر على الأسفلت في وسط أرجل النساء المصليات للجنائز لا أصلي بل أنظر لوجوههن الباكية الخائفة والمؤمنة ايمان اليقين وهي تقف وترجع وتسجد بينما أنا أنقل نظري بينها وبين السماء وأتيقن لأول مرة أنني لم أعد أنتمي إلى هذه الحالة بأي ذرة بداخلي. لا أرى نفسي فيهن بأي شكل، لا أشاركهن أي فكرة فقط أراقبهن في حزن وخوف وإشفاق كغريبة مشوشة لا تعرف فيما تفكر. يوم لم يحتمل رفيقتي أن يظل بعيداً ففاجئتني أمام المشرحة لأتسلسل معه في شوارع زينهم بعيداً عن هذا الوجه الآخر لحياتي وأحتضنه في شوارع لا تقبلنا دون تردد. يوم انهارت أمي من البكاء لحظة عودتنا للبيت بعد أكثر من عشرين ساعة قضيناها بين مشرحة ومقبرة، لا لفجاعة ما حدث أو ما سيحدث ولكن لان مشهد بنات العائلة حولنا ذكرها اني الوحيدة التي تجرأت على خلع حجابها وعفتها. يوم اتهموني بقتله فقط لأنني علمانية لأنني العدو الذي حتما يسعى لفنائهم. لم يكن مرحب بي في حالة الحزن الجماعي التي جمعتهم كعائلة تشاركت مسار الحياة لسنوات لا مكان لي في جلسات حميمية لسرد ذكريات مشتركة جمعتنا. لا مكان لروايتي عنه فرواية أكثر ملحمية ونقاء قد تم اقرارها كرواية وحيدة لحياة الشهيد. أقرأ كثيراً تعبير «سرقة أصواتنا» وأشعر بثقله في أعماقي.

لم أكتب عن هذا اليوم أبداً قبل الآن، لم أستطع تحمل الألم. لم أكتب عن أي يوم أبداً. واليوم حين أتذكر هذا اليوم تلح ذاكرتي بمشهد آخر، مشهد صديق تصادف تواجده بالمشرحة ليظل معنا طوال اليوم ويحمل أخي المقتول على كتفه لينقله للداخل و تسقط قطرات الدم على جبهته

حول عملية الكتابة؛ المناطق الحدودية / لا فرونتيرا، إصدار «كاتبات الخزانة»، اختيار، مصر، مارس 2018

الصلعاء فأمسحها بيدي، أصبحت الذكرى أثقل على النفس الآن، فقد مات صديقي فجأة في منامه بعدها بشهور دون أن أودعه. ليس اليوم الوحيد، وليسوا وحدهم من فقدت. تحمل أيام الثورة وما تبعها من تخبط آلام مشابهة لي وللكتيرين. كيف لنا أن نكتب دون المرور بكل هذا الألم والفقد والتخبط والخذلان؟ أنتعافى بالكتابة كما يعدون؟ أم نعتد الألم 'نحترف فتح الجروح والنظر إليها مدركين اننا سنتابع حيواتنا حاملينها معنا دون أن نفقد أنفسنا في هذا الألم المعتاد؟

...

أملك في عقلي عشرات المشروعات للكتابة، أفكر في الكتابة طوال الوقت، أفكر في الكتابة لأنني لم أعد أثق في ذاكرتي. أرغب في التوثيق، لكي لا أفقد إدراكي لأحداث الحياة من حولي مع الوقت. لكي لا أفقد إدراكي لنفسي مع الوقت. لا يمنعني فقط خوفي من كشف الجروح، فكثيراً ما لا تكن الجروح غائرة بهذا القدر. ولكن دائماً يمنعني خوفٌ ما.

أرغب في الكتابة عن مجتمعات عرفتها وعاشتها، عن نساء ورجال يختزلون في انتمائهم للأقليات والمهمشين والمضطهدين، عن مشكلاتهم وآلامهم وأحلامهم. ولكني أخاف أن أنسى المسافات بين حياتي وحياتهم، أشعر بوقاحة إدعاء أنني أفهم ما يعانون بينما لم أكنه أبداً. أخاف أن أخذلهم، أو أخذل نفسي، أو يخونني التأويل.

أرغب في الكتابة عن حياتي كامرأة تعيش هنا والآن، عن علاقتي المعقدة بجسدي والعالم. عن أمي. عن أبي. عن أبي وأمي معاً. عن خوفي من أن أصبح صورة باهتة من أحدهما، بلا طموح أو إنجاز أو شغف. ثم يمنعني خوفي من جرحهما. دائماً ما تحوي تجاربنا بشر آخرين، نحبهم أيضاً كما نحب أن نجد لأنفسنا إيقاعاً متزنًا بالكتابة عن صراعاتنا معهم. ليست تجاربنا وحدنا. الوعي بذلك يخيفني.

...

ربما أخاف أحياناً من أن يخرج الكلام مكرراً ومبتذلاً. لن أضيف الجديد، فكل المشاعر أختبرت وكل الأفكار نوقشت. وليست الآمي الأفظع ولا خواطري الأهم. أشعر أحياناً أنني مدينة للعالم بأن تكون تجاربي مكتملة تماماً، أفكاري ناضجة تماماً، إضافتي أصيلة دائماً، لتستحق أن تكتب.

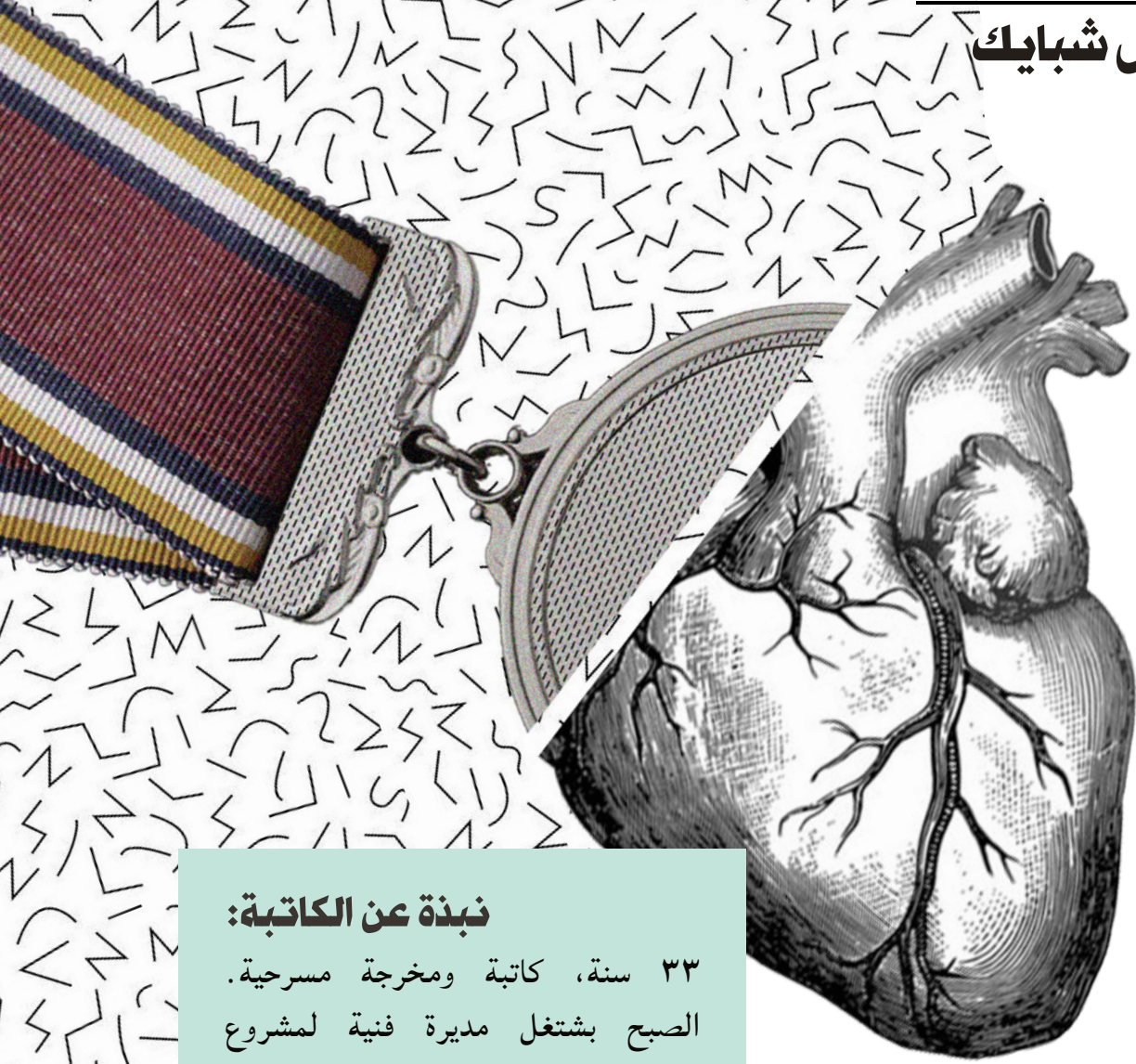
أو ربما الخوف الأكبر يكمن في أن أفقد القيمة أثناء الكتابة. أن تصبح الكتابة في ذاتها أهم من المعاني. أن أفتتن بالصياغات، بالرغبة في أن أبدو أذكى أو أنقى أو أفضل مما أنا عليه. أن أفتتن بجمهور ما أكتب له، حتى وإن كان في مخيلتي وحدي.

...

أبدأ كل يوم بنية بدأ لكتابة. تدور في رأسي الكثير من الحجج لصالح الكتابة. ولكنني اليوم قررت أن أواجه هذا السؤال الملح المؤجل «لماذا -رغم كل شيء- لا أكتب؟»

توقفت عن جعل إنهاكى وسام شرف ارتديه

سندس شبايك



نبذة عن الكاتبة:

٣٣ سنة، كاتبة ومخرجة مسرحية.
الصبح بشتغل مديرة فنية لمشروع
بصى، وميسرة ورش حكي، ومخرجة
عروض. وبالليل بعمل كوفيات تريكوه
وبقعد مع القط بتاعي. بحب الساعات
الأولي من النهار، وريحة كوباية القهوة
الصبح، وهدوء الساعة ٦

البدايات وخلق القصص

” صداع نصفي ...

بدخل الحمام عشان أغسل سناني وأنام
بلاقي معجون السنان خلص
بقعد علي طرف البانيو أعيط

(ليلة في مارس ٢٠١٦)

في 2006، شاهدت بالصدفة البحتة أول عرض لمشروع بصي. كان العرض عبارة عن مجموعة من القصص والتجارب الحقيقية لسيدات، لكنها كانت تجارب خاصة جدًا؛ تجارب عن موضوعات كانت، وما تزال، مسكوتًا عنها. في بداية العرض صُدمت، صدمة «أنثى» ولدت في مجتمعٍ كمجتمعنا، ظنت لسنوات أن ما مرت به لم يمر به أحد غيرها. وفجأة، في ساعة واحدة، شاهدت أغلب ما كنت أظنه تجاربي، ومشاكلي، وجروحي أنا الخاصة، لكنها تُحكى على لسان أكثر من ٢٠ فتاة لا أعرفهن.

خرجت من العرض بخليط غريب من المشاعر، وليلتها كتبت لأول مرة في حياتي تفاصيل أول تجربة إساءة جنسية تعرضت لها وأنا طفلة. كتبت القصة كاملة بكل تفاصيلها، تفاصيل حاولت طوال سنواتٍ تناسيها أو إنكارها.

بعد ذلك، فكرت أن أكتب عن العرض في إحدى المجلات الشبابية، لذا أجريت مقابلة سريعة مع واحدة من مؤسسات المشروع، وهي ناز خان، وانتهت المقابلة بحضنٍ وبكاء.

تجربتي مع الحكى الشخصي

في ٢٠٠٧، وقفت على المسرح لأشارك قصتي على المسرح. اخترت عدم ذكر اسمي كصاحبة القصة، قصتي التي كانت وما زالت أكثر قصة مؤلمة شاركتها في بصي، لكن أكثر قصة مشاركتها غيرت حياتي.

كانت المرة الأولى التي أفهم فيها تأثير البوح بمشاركة قصة كتمتها داخلي لسنوات. كتابتها كانت مؤلمة جدًا، لكنني شعرت بعد الانتهاء منها بإحساس غريب من الارتياح، شعرت بالإفراج أو كأنما حررت جزءًا ما داخلي.

وفي لحظة ما أثناء ثاني ليلة للعرض، أحسست بشيء غريب في صدري، كأنما ثقل ارتفع عنه فجأة. ثقل كان مرتبطاً بإحساسي بالخزي والعار والخجل من جسمي، ورغبتني الدائمة في تغطيته، كرهني غير المفهوم لجسمي، وكرهني للرجال.

استمرت مشاركتي في عروض بصي، كل سنة أشارك تجربة مؤلّمة أخرى كنت أنتظر فرصة لأحكيها، وللبحث عن طريقة للتصالح معها؛ فرصة لتحرير جزءٍ آخر بداخلي. كل سنة أنتظر لحظة معينة على المسرح أرى أثناءها في عيني شخص آخر بين الجمهور ما معناه: «وأنا كمان».

في ٢٠٠٨، كتبت قصصي وقصص فتيات وسيدات أخريات، وساعدت على إخراج العرض. وفي صباح يوم ما في ٢٠١١، وبدون أي خطة، قررت ترك عملي كصحفية والتخلي عن حلم أكثر من ١٠ سنوات. فقدت الأمل في الميدان، والتغيير، والحلم بحياة مختلفة. وفقدت الأمل في المصداقية وقوة الصحافة عموماً. كل ما تبقى معي هو أمل واحد فقط؛ أمل في الحكايات وقدرتها على إنقاذي أنا شخصياً قبل دعم أي شخص آخر.

ولذلك عند سؤالي عن سبب استمراري في العمل ببصي، أقول أنه اختيار لأسباب أنانية جداً. عملي في بصي أصبح هو آليتي الخاصة للتعامل مع واقع مرارته تزداد سوءاً مع كل دقيقة. أحكي وأكتب الحكايات للتكيف والتعامل مع ألمي الشخصي قبل الآلام الآخرين، لأن تجارب الآخرين في الحكي أيضاً تمكنني وتمدني بالقوة والصبر. هناك أسباب أخرى، لكنني أفضل دائماً مشاركة سببي الشخصي. ليس المجد أو البطولة في التجربة، ولا رغبة في إثبات شجاعتني للآخرين. أستيقظ كل صباح لإدارة مشروع يوثق شهادات، وييسر ورش حكي وعروض مسرحية من أجل النساء والرجال، لمشاركة تجاربهم/ن الشخصية في المجتمع، تجارب يشاركوها/نها لأول مرة؛ تجارب مؤلّمة وشجاعة.

في بداية بصي كنا نجمع نحو ٣٠ قصة لعرضٍ مسرحي واحد فقط كل سنة، ومع مرور السنوات، تطور المشروع واتسع نطاق عمله ليتجاوز العمل مع مجموعات شبائية فقط، وأصبح يتضمن مجموعات مختلفة؛ سيدات عاملات في منازل، وسيدات مررن بتجربة السجن، وأخريات معرضات للإتجار الجنسي. أصبحنا ننظم ورش وعروض مختلفة على مدار العام في القاهرة وغيرها من المحافظات.

طورنا ورش الحكي وأصبحت مصممة لخلق مساحات آمنة لكي تشارك المجموعات المختلفة تجاربها، ويتدرب أفرادها على حكي قصصهم على المسرح. واتسع نطاق القصص نفسه وأصبح يشمل موضوعات وقضايا اجتماعية أخرى بجانب التحرش والاعتداء داخل المنزل وخارجه، مثل الزواج المبكر، والاعتصاب، والختان، وغيرها.

اخترت عملي بالرغم من أنه يتضمن كتابة تلك الشهادات وتحريرها، والمرور على سطور تضم تجارب مؤلّمة أكثر من ١٠ مرات، إضافةً إلى الإجهاد النفسي والعاطفي الناتج عن تيسير مساحات

آمنة للحكي، ومساندة المشاركات أثناء حكيهن وبعده. اخترت عملي وآمنت به مع أنني أتساءل طوال الوقت إذا كان بمقدرتي، أو بمقدرة أي شخص، العمل بصفة مستمرة في مجالٍ كهذا. فمع مرور الوقت والتجارب العملية، اكتشفت مدى بشاعة وضع الفتيات والسيدات في بلدنا وكيف يحتجن للدعم، وأدركت عدد القضايا وحجمها التي بحاجة لمواجهة أكبر من قدرة وحجم كل الجهود الحالية. بعد كل مرحلة كنت أظن فيها أنني كما يُقال «قابلت الوحش»، تأتي ورشة أخرى، مجموعة أخرى، سيدة أخرى، لتسرد حكايةً أخرى، في عرضٍ آخر.

تساؤلات عن علاقتي بالعمل

” شعور مستمر بالغثيان وألم غير معتاد
في مناطق غريبة من الجسم ...
«مالك؟»

«مفيش ... الحكاية ... صوتها لسة
في ودني، والصور مش بتفارق دماغي»
«أخرجي من الحكاية»
«بحاول ...»

(من صباح ثاني يوم بعد عرض لشهادات عن
الاعتداء الجنسي والاغتصاب)

مع الوقت، أصبحت أحلامي وطموحاتي أكثر تواضعًا. صار كل طموحي أن تنجح ريهام في إقناع زوجها «اللي بيضربها» أن تأتي للورشة. لأن حضورها حسب وصفها «بيقويها ويصبرها»، و«بيحسسها إنها مش لوحدها»، وأنها «تقدر».

دائمًا أسأل نفسي كل صباح «هتختاري شغلك ده النهاردا؟»، وإلى الآن ما زالت الإجابة «نعم»، حتى بعد سماع قصص مرعبة عن تأثير الإرهاق النفسي في الكثيرين.

«فلانة فجأة لمت هدومها وهجت»

«فلانة نصف جسمها اتعرض للشلل».

من سنتين تقريبًا حضرت جلسة psychoeducation (التثقيف النفسي الاجتماعي) وفهمت لأول مرة مصطلح empathy fatigue (تعب التعاطف/الإرهاق الناتج عن ممارسة إحساس التواجد مع أشخاص آخرين)، ومصطلح secondary trauma (الصدمة الثانوية)، التي قد تحدث عند تقديم الدعم لشخصٍ يعاني الصدمة.

مع مرور الوقت وزيادة الخبرة، فهمت أن الغثيان ليس مجرد empathy fatigue، لكنه مرتبط بأن القصة ضغطت عليّ بشكل شخصي. مصطلح آخر فهمته trigger (إثارة)، والمقصود منه هو أن تثير قصة أو كلمة أو موقف ما إحساسًا ما عندي أنا بشكل خاص نتيجة تجربة/تجارب في حياتي يُحتمل ألا أكون تعاملت معها بشكل صحي، أو حتى تعاملت معها بشكل صحي، لكن ما يزال ذكرها يسبب ألمًا أو أعراضًا معينة متعبة.

وجدتني أمام قرار آخر وجب عليّ أخذه؛ قرار خوض رحلة علاج نفسي للتعرف على ذاتي واكتساب وعي أعمق بها وبمشاكلي، واكتشاف أشكال التعامل غير الصحي مع الواقع اليومي، للتعرف والتعامل مع صراعاتي الخاصة التي قد تثيرها الحكايات أو التعاملات داخل سياق الورشة وخارجه.

كان، وما زال، قرار الالتزام بجلسات مع معالج نفسي صعب جدًا. ليس فقط بحكم طبيعة مجتمعنا وثقافتنا التي ما تزال تنفخ وتقلل من الإرهاق والمرض النفسي، لكن لأن الاعتناء بالنفس كمفهوم ما زال يُعتبر «غريبًا» عنا، بل ومرفوضًا، رفضًا ضمنيًا حاسمًا في الأفكار والثقافة التي عُززت داخلنا، سيداتٍ وفتيات؛ مثل ثقافة «التضحية»، و«الإيثارة». دائمًا ما يمارس المجتمع والأهل والمحيطون تعظيمًا وتشجيعًا وتهليلًا للأم أو الزوجة أو الفتاة التي تضع احتياجاتها جانبًا أو تتناساها تمامًا في سبيل الآخرين، وفي سبيل جعل احتياجاتهم الأولوية الأولى عندها.

” دي ضحت بعمرها عشانكم “

وحين أقرر ألا أتبنى الفكر نفسه، أصبح حينها أمًا أو زوجة أو ابنة غير صالحة، وأنانية، وغير بارّة بأهلي. أعتقد أن تلك الثقافة ربما تكون أحد الأسباب وراء رداات الفعل تجاه أفعال هدفها الاعتناء بالنفس وتلبية الاحتياج الشخصي قبل احتياجات الآخرين. أشعر بالذنب كل مرة أدفع فيها تكاليف جلسة علاج نفسي، أو كتاب عن الاعتناء بالنفس، أو خلافه. أشعر بنظرات التأييب في عيون أقاربي وفي صوت أمي إذا قررتُ عدم الذهاب للقاءهم يوم الإجازة.

” «ليه مش هتيجي؟»

«مرهقة ومحتاجة أقعد لوحدي»

«مرهقة من إيه؟ وبعدين هو حد

بيقولك تعالي اشتغلي؟! تعالي

اقعدي معانا على الكنبه ...

نفسى أقعد معاكي، وأختك ما

شفتيهاش من شهر» “

ولذلك، أحيانًا ما يكون قرار الالتزام بالاعتناء بالنفس صراعًا، وليس مجرد قرار؛ صراعًا مع من حولي ومع نفسي بشكل أساسي؛ صراع مع صورتي أمام نفسي ... هل عندي الاستقلال الكافي والقوة الكافية للتخلي عن كثير من الأفكار والمعتقدات المرتبطة بالمرأة؟ هل أنا بالشجاعة الكافية لعدم الاكتراث بأراء الآخرين؟ هل أنا قادرة على التمسك بقناعاتي الشخصية بأن الاعتناء بنفسى في سبيل مواصلة عملي، ليس فعلًا أنانيًا؟

فشلت لسنوات في كسب تلك المعركة. كنت أضع خطط عمل مرهقة جدًا دون وضع المساحات الزمنية الضرورية للراحة في الحسبان. دائمًا ما أقلل من حجم ضغط العمل وإجهاده، وبالتالي نادرًا ما أسمح لنفسي بأخذ إجازات. وبالرغم من رفضي للأفكار التي ذكرتها أعلى، فإنني دون وعي مني وجدتني أخلق لنفسي نظامًا قمعيًا آخر بديلًا عن النظام الذي وضعه المجتمع. أصبح العمل لساعات طويلة، وتجاهل احتياجات الجسم من راحة ونوم يدعو للفخر، بل تمادى الموقف حتى صرت أؤمن بأنه لا مفر من إتمام العمل إلا إذا ضحيت بنفسى. مؤخرًا بعد مواجهتي الشخصية لتلك الحقيقة المؤلمة، بدأت أقرأ عن تجارب أخرى مماثلة لمواساة نفسي.

رفيقات العمل

لم أكن علي دراية أو وعي بمفهوم الاحتراق الوظيفي/الإجهاد النفسي (أو أي كان المسمى)، أو بحال أغلب المؤسسات والمشروعات التي تعمل على قضايا السيدات. كنت أتصور أنني وحدي أعاني مشكلة قلة الخبرة والمعرفة الكافية التي كنت ما زلت أظن أنها مهمة لممارسة عملي، لكن مع احتكاكي بمؤسسات ومشروعات أخرى، اكتشفت أنها أزمة عامة.

في اجتماع حضرته مؤخرًا لمجموعة كبيرة من العاملات بمشروعات ومؤسسات تدعم المرأة، لاحظت شيئًا لم ألاحظه من قبل. جمع بيننا شغفنا وإيماننا بعملنا، والإجتهاد النفسي المستمر، وأدأنا لعملنا أثناء استراحات الاجتماع كلها، والسهر لساعات متأخرة لإنجاز المهام المؤجلة بسبب حضورنا الاجتماع، وتصورنا بأن ما نفعله سواء كان (دعمًا نفسيًا-اجتماعيًا-توعويًا... إلخ)، هو جزء من وجودنا، بل سبب وجودنا كله. جمع بيننا تصور أغلبنا بأنه لا يوجد حياة، وأنه لا يوجد سبب للحياة إذا توقفنا عن فعل ما نفعله. لوهلة، يبدو في ظاهر ذلك شيء نبيل وسامٍ، لكن بعد فترة لاحظت بشيء من الألم أبعاد الأفكار المذكورة. إذا كنت أنظر لعملي كجزء من كياني لا يمكن الاستمرار في الحياة بدونه، فمن المنطقي ألا يصبح التوقف عنه -ولو بشكل مؤقت- أو أخذ قسط من الراحة، خيارًا من الأصل. لا عاقل يختار التخلي عن جزء من ذاته. إذا كان عملي هو هويتي، فالراحة ليست مجرد خيار غير محبب، هي خيار غير متاح أساسًا.

استمعت في أحد الأيام لواحدة تشكو تأثير المجتمع الأبوي القمعي التي تعيش وتعمل فيه، وبعدها في وقت الاستراحة، توقفت للحظات لأشاهد المجتمع الموازي القمعي الذي ربما نكون خلقناه بغير دراية أثناء سعيينا لمحاربة مجتمعاتنا. نشكو من القهر، لكننا مع ذلك نجحنا في خلق بيئة عمل غاية في القسوة والحدة، بيئة عمل قاهرة لا تسمح لنا بالراحة ولا الاعتناء بالنفس.

كنت أحيانًا أقول لمنى صديقتي إنني أشعر في أوقات كثيرة بأنني حوّلت حلمي لوحش يطاردني.

لم أكن أعلم أنني لست وحدي من خلقت صومعة القمع البديلة، أدركت أنني وكثيرات أخريات ضللنا الطريق في رحلتنا للخروج، وبنيناها معًا بغير وعي. لاحظتها شعرت بأنه يمكننا وصف مفهوم الاعتناء بالنفس بأنه «نسوي»، ففكرته الأساسية هو ألا نقوم بـ «التضحية» أو تجاهل احتياجاتنا، مفهوم يضعنا، ويضع احتياجاتنا، ومشاعرنا وكل ما يخصنا، في الأولوية، وي طرح فكرًا يقوم على أهمية الاعتناء بذواتنا أولاً قبل الاعتناء بالآخرين.

لكن هناك أشياء أخرى لم أخترها، أشياء تجعلني أشعر بالضعف وقلة الحيلة والغضب.

منها الإحساس المؤلم أحيانًا بالوحدة الشديدة. أشخاص قليلة في حياتي عندهم قدرة ورغبة وفضول كافٍ لفهم طبيعة الإجهاد النفسي الذي أتعرض له أنا وغيري في المجال. كيف أشرح لأمي أنني ليس عندي الطاقة الكافية لرؤية أحد؟

كيف أشرح أن ما أعانيه ليس مجرد إرهاق جسدي؟ كيف أشرح أن الأنشطة المتعلقة بالعناية

بالنفس، ليست رفاهية ولا «دلع»، لكنها ضرورة وإلا سأستيقظ يومًا ما وأجد نفسي نزيلة في مستشفى العباسية، أو ممسكة بعلبة بنادول وأنا أفكر «يا ترى هروح فين لو بلعتها»؟ هذه الافتراضات ليست مجرد افتراضات، لكن كيف أشرح ذلك أيضًا؟

أحيانًا ما تأتينا الوحدة من الاختيار نفسه، أو كوني اخترت سلكًا وظيفيًا غير معتاد ولا مفهوم بالنسبة لأغلب الأهالي والأجيال الأكبر، «يعني إنتي بتشتغلي إيه بالطبط؟»، «هتكتبي إيه في البطاقة؟»، «ليه بتشتغلي جمعة وسبت؟». الحقيقة أن ما أفعله ليس مفهومًا لأشخاص آخرين في المجال نفسه «يعني إنتي بتشتغلي إيه؟ بتطبطي علي الستات وتقوليلهم معلش؟».

أغلب لحظات الإنجاز، ولحظات الفشل والانهمام، يشوبها إحساس بالوحدة. ليس هناك سوى عدد محدود من الأشخاص المدركين لما أفعله، هم فقط من يقدره وتخرج عنهم كلمات مثل «برافو»، أو يواسوني بجمل لطيفة مثل «أزمة وتعدي».

ومع ذلك، كلها أعراض جانبية لحياة اخترتها، ومع مرور الوقت، ومع إدراكي لهذه الأعراض، أقرر أنها جزء من الاختيار، وعلي قبولها واختيارها.

حتى مع قبولي لها طوال السنين الماضية، تحوّل أغلب العمل المتعلق بالمجتمع المدني أو الفنون التعبيرية، لنشاطٍ مشبوه. في الحقيقة لم يتحول، كان هكذا منذ البداية، لأن ما كنا نقوله دائمًا عندما نسافر إلى محافظات هو أننا «طلبة جامعة» أو «مدرسين رسم». لكن حجم القلق والخوف كان معقولًا نسبيًا، أو على الأقل بالنسبة لي.

إلا أنني أدركت مؤخرًا أنني أمام خطر آخر وسط موجة التضييق على المشاريع والمبادرات، فجأة، أصبحت مضطرة للتعامل مع نصائح أصدقائي: «بلاش تروحي الشغل الأسبوع ده».

«أمال أروح فين؟ النادي؟»

متى أصبح الذهاب لمكان العمل فعلًا يحتاج إلى الشجاعة؟

اتضح لي بمرور الوقت أن المشي في الشارع يحتاج إلى الشجاعة، الذهاب لمشاهدة فيلم مستقل يحتاج إلى الشجاعة، الوجود في أماكن عامة يحتاج إلى الشجاعة.

لم أختَر تحويل حياتي إلى معركة، ولم أختَر أن أتعايش مع توتر مستمر في خلفية حياتي، ولم أختَر، ولا قررت، أن أكون شجاعة، وغيري الكثير.. لم يختَر أيٌّ منهم أن يكون شجاعًا.

السباحة نحو النسوية

كتابة: زينب مجدي

تدقيق ومراجعة لغوية: فرح برقاوي

تشكر الكاتبة دانا علاونة، وابتهاال شديد ومحمد الحاج



نبذة عن الكاتبة:

مواليد الجيزة، سبتمبر 1988، ومتسجلة مواليد الإسماعيلية شهر أكتوبر، بمثل وكتب وعمل الدكتوراة عن الكاتب المصري وجيه غالي وترجم أحياناً. بشتغل في المسرح من 2007، كبرت وجريت أعمل عرض بتاعتي من سنتين وساعات بعمل ورش كتابة. بالنهار بشتغل في قسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب، جامعة القاهرة، ومنتخرجة من هناك سنة 2009 ونفسي أتعلم الخياطة عشان أنهي رحلة البحث عن ترزي.

اهتز القطار هزة عنيفة فجائية جعلت أمي تتشبث بمسند المقعد الأزرق الكبير الذي جلست عليه في طريقنا إلى المعمورة، لقضاء إجازة من إجازات الصيف في المكان التي قضت هي فيه العديد من سنوات طفولتها. اهتز القطار مرة أخرى وشعرنا أننا على وشك الخروج عن القضبان، الخروج عن الطريق الذي يحمينا ويؤمن حياتنا. زادت حركة القطار وزادت معه الأصوات المخيفة التي جعلت الجميع يشعرون أننا على وشك الموت في هذه المقاعد القذرة حتى زادت حركته العجيبة في لحظة واحدة عنيفة ومرعبة، أمسك الجميع فيها بأنفاسهم وبطنوهم والتزموا الصمت لتمر اللحظة كأننا كنا في قطار آخر، فتنفست أمي بصوت عالٍ وقالت لثلاثتنا بكل جدية «الحمد لله إننا بنعرف نعم». أخذنا ثانية أو اثنتين لفهم المزحة ثم ضحكنا مع ماما بصوت عالي.

سنواتٌ تمر وأجلس بجانب أمي في سيارتها، أشاركها رحلات كثيرة في مركبات كثيرة، قطارات من القاهرة إلى بحري - الإسكندرية ودمنهور حيث منزل عائلة جدي، «فلة» سيارة أمي الـ127، البولمان للإسماعيلية، السوبر جيت، أتوبيس الجامعة الأمريكية من الجيزة للتجمع الخامس، وطائرات في وقت مضى لا أذكره جيدًا من وإلى الرياض حيث عملت هي في إحدى جامعات تلك المدينة التي أذكر قبحها بوضوح والتي لم تتمكن فيها من القيادة.

«ماما، بتحبي السواقة؟»

هذا السؤال الذي سألته كثيرًا، دائمًا وهي ممسكة بعجلة القيادة، فتقول ماما: «جداً، بحب السواقة أوي أوي»، مرات دون أن تشرح سبب هذا الحب ومرات أخرى وهي تشرح لماذا يروق لها هذه النشاط الذي أراه عجيبيًا. تحب أمي القيادة وعادة ما تقود سيارتها بمزاج، وأحيانًا أخاف من أن يكون رفضي لممارستها ما هو إلا شيء آخر يجعلني مختلفة عنها وعن أختي اللتين تعلمتا القيادة واستخرجتا رخصًا تسمح لهن بالتحرك ببطء في شوارع العاصمة. أفكر في سيارة أمي الذهبية، سوزي، التي انضمت إلى عائلتنا قبل بلوغ أيّ منا سن استخراج رخصة قيادة. لقد حملتنا كثيرًا معًا نحن الأربعة، ولكن هذا لا يعني أننا نتشارك نفس الآراء عن «وضعنا» في الحياة، كنساء قبل أي شيء. الآن، تقود أختي الصغيرة «سوزي»، وأجلس بجانبها وأشعر بأنني صغيرة وأنها أشجع مني لأنها تحارب في شوارع العاصمة، وأذكر نفسي بأنها لم تعد صغيرة ولم تعد مسؤولة مني، وأن خياراتها في الحياة ليست من شأني ولا تقلل من نسوية إحدانا.

ربما هنا تكمن أهمية السيارات، لأنها تذكرنا أنه كيفما نفهم النسوية ونفسرها - أو نرفضها - فنسوية واحدة منا ليست أصح من نسوية أخريات. أليس هذا ما نحاول فعله دومًا؟ ألا نقرر أن

نسوية واحدة مننا لا ترقى لأن تُسمى بنسوية لأن أفعالها لا تتماشى مع كل ما عملنا وحاربنا من أجله وكل ما نراه نسوي، لكونها مختلفة عن كل ما قرأناه، عن كل ما شعرناه ولا نزال نشعر به تجاه حيواتنا كنساء؟

مرة من المرات الأخيرة التي جلست بجانب أمي في سيارتها، تشاجرنا وقررت ألا نتحدث معي لمدة لا أذكرها تحديدًا وكان محور الشجار هارفي واينستين، وتحدثنا بالتحديد - أو تشاجرنا - عن مدى استطاعتنا لوم تلك النساء اللواتي قررن التحدث في العلن عن تحرشه بهن عبر السنين. نعرف جميعًا كيف سار ذلك الشجار، فنحن ننام ونفوق في حوار مشابه، حول امرأة ما، ورجل، أو رجال ونساء وامرأة وامرأة لنعيد التفكير فيما هو العنف الجنسي ومن أين يأتي، أو أن يتساءل مجتمع بأكمله، لماذا؟

لماذا سمحت له؟ لماذا تواجدت هناك؟ لماذا ترتدي هذا؟ لماذا تشرب ذاك؟ لماذا تمارس الجنس؟ لماذا قررت الكلام الآن؟ لماذا تشير بأصابع الاتهام؟ لماذا لم تتكلم في وقت سابق؟ لماذا لم تحرر محضرًا؟ لماذا لم تخرج من هذا الموقف؟ ولماذا نصدقها؟ لماذا نلومه؟ لماذا نتعاطف؟ لماذا لا نسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية؟

لماذا حقًا لا نسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية؟

قضيت سنوات لا أجمع بين الكلمتين، «عنف» و«أسري»، فإما لم أستخدم أي مسمى، أو بعد سنوات استخدمت البديل الإنجليزي المريح في بساطته. عندما أتحدث عن العنف الأسري مع صديقتي التي تعمل في مؤسسة في كاليفورنيا لمساعدة النساء، أتحدث عن مواقف قديمة بكل أريحية، كأني أحكي عن حدث يومي عادي. ينتهي الحديث بيننا وحينها أرتبك لما يجلبه هذا الحديث من مشاعر، عندما نستحضر كل تلك الحكايات العادية/غير العادية/المسكوت عنها/التي أتكلم عنها دومًا/التي أشعر أنها تحدد فروقاتٍ كثيرة بيني وبين أمي وأختي. لا أتكلم عنها لأشعر بأني ضحية، حتى وإن فعلت ذلك كثيرًا من قبل، لكنني أتكلم عنها لأنها جزءٌ مما أنا عليه الآن ولأنني أحاول كثيرًا تسمية الأشياء بأسمائها حتى إن خفت من وقع الكلمات. الآن، كثيرًا ما أسمى بما هو، باسمه الحقيقي، عنفٌ أسري، وأنا أعني تمامًا أننا أحيانًا نتفادى الأسماء الحقيقية لأنها غريبة ولأنها تُجرد ما حدث من كل ما هو شخصي وأحيانًا أخرى لأن تلك الأسماء الحقيقية تؤلم حتى في خلقها لسائر لغوي يحميننا من هول الذكرى.

أكتب هذا وأفكر في أمي و هي تقرأه وتشعر بأني خذلتها للمرة الألف، وبأنني أخرجتها

وجرّست عائلتنا بهذا النص الذي لا أعرف إذا كانت ستقرؤه أيّ من صديقاتها، أو أولاد عمها أو أولادهم.

يصاحب النسوية شعورٌ دائم بالخجل، بالأسف على ما سنقوله، وما سنحكيه، وشعورٌ دائم بالتردد. هل أبلغ؟ وهل يتحمّ عليّ التحقق من نية شخص قبل إقدامه على فعل ما أيّا كان هذا الفعل؟ أيجب عليّ مسامحة أبي؟ كل مرة حاولت الكتابة أو التحدث عما حدث لا أعرف إذا ما كان لي الحق في التحدث عن أشياء لا تعينني وحدي، بل تعيننا كلنا، أنا وأمّي وأختي الكبيرة وأختنا الأصغر، ذلك الثالوث الذي أتصارع معه دائماً ويبقى ثلاثتهم أهم شيء في حياتي، أهم دروسي في النسوية، بالإضافة إلى جدتي بالطبع. أقول أشياء كهذه؛ مسامحة أبي، وأنا أرغب في التعليل بأن أقول أنه ليس سيئاً كما تظنون، وأنا احتضنا بعضنا البعض في آخر لقاء وأنني شعرت بأنه يحبني، وأنني أخاف أن أعترف لنفسي بأنني أحبه. أخاف من أن يراني أحدٌ كما تراني أمي بعد الخناقات: أنني أخلق من الحبة قبة.

تأتي النسوية محملة بعبء كل الأعذار التي ابتدعناها لتتعامل مع الحدود المفروضة علينا؛ فنحن نكبر كثيراً ونمر بالكثير لنفهم أن النسوية ما هي إلا تحرر من كل سلاسل الأعذار وال«لكن» وال«يمكن». تأتي النسوية بكل تلك المشاعر لأننا حتى عندما نجد مسمّى ما يشرح لنا كل ما نشعر به كنساء، نصطدم بكل ما حُمّلت به هذه الكلمة من مشاعر مصاحبة سابقة، مشاعرنا ومشاعر غيرنا من النساء، فنشعر أن كلمة واحدة فكّت شفرات الجسد وكل ما نشعر به، ولكننا نقع تحت وطأة كل ما حملته تلك الكلمة. فمرة بعد مرة، نفهم أن التشكيك فينا وفي كل ما نشعر به وتكنيك إشعارنا بأننا نتوهم الأشياء ما هي إلا ممارسات ممتدة لكل ما تصارعنا معه قبل التعرف على كلمة واحدة تشرح ما نمر به كل لحظة من كل يوم.

أفكر دائماً أن شعور الخجل الذي يصاحب النسوية يشابه الشعور بالخجل لحظة وقوفي على حافة حمام السباحة بالمايوه وأنا أفكر في جسدي وكم هو لائق ولأبي درجة هو مشدود، وكيف «تفحّشت لظاليمه» وزادت الأشبار التي تغطي المساحة بين أردافي.

ولكنني أكبر، وأتعلّم أنها كلها أشياء لا تعني الكثير، «اللظاليم» جميلة لأنها تحميني عندنا أتعثر وتقلل من ألم الصدمات.

أكبرُ وأفهم أن النسوية التي أحميها بكل ما وعيت لأنها تحميني من كل شيء شعرت في يوم ما أنه يقلل من كوني أنا، ما هي إلا نبتة نمت من بذرة عادة ما تكون النساء الأوائل في حياتنا، هم الفلاحات المسؤولات عن غرسها في الأرض، وأنه عادة، لا يكون فعل الزراعة

هذا ممنهجًا ومقصودًا، كأن تجدي فردة الشراب المختفية وأنتِ تبحثين عن السوتيان. أو شيء من هذا القبيل.

كيف نتعثر بالنسوية؟

أتعثر في مرة من مرات خروجي من غرفتي لأعود لأكتب هذا النص، أنظر لأرى ما هو الذي تعثرت به وأعرفه، وأعرف أيضًا أنني لا أتعثر فقط لاصطدامي بشيء ما خلال اتخاذي لطريق معين، إنما هي نتيجة متوقعة لتاريخ طويل من التعثر والوقوع والاصطدام منذ الطفولة، تمامًا مثلما نتعثر بالنسوية؛ هناك اللحظة التي نذكرها، واللحظة التي نشاهد وعينا وهو يتبلور لنفهم شيئًا ما فيها، وهناك كل التاريخ الذي سبق لحظة الـ«آه!» هذه، والذي نقضي أيامًا وأسابيعًا وشهورًا وسنوات بعدها لنفهمه، هذا التاريخ الذي نحمله بثقلٍ حميمٍ وتعودٍ وأرباحية كاذبة.

أحاول أحيانًا العثور على تلك اللحظة. لا أذكرها، لا أذكر لحظة بعينها، كما لا أذكر اللحظة التي تعلمت فيها الطفو على الماء والسباحة بشكل جيد. علّمتني جدتي السباحة وساعدتها خالتي مديحة في تحسين حركة يديّ في الماء، وأتت بعدها أختي الصغيرة لتحسن من حركة جسدي في حمام السباحة لاتقن حركة ذراعي ورجلي. تلك لحظاتٌ أذكرها.

أشعر أن السباحة تأتي لي بسهولة، بسلاسة، وأعرف أن هكذا النسوية، فهي أتت لي بسلاسة وعرفتني بداخلي لا أعلم كيف، لكنني أعرف أنني لا أستطيع فصل تلك العلاقات بالأشياء عن النساء اللواتي شكلن وعيبي وأنا أكبر، وأني أسبح لأن جدتي كانت تسبح وتعلم السباحة، وأني كبرت وعرفت النسوية لأنها فسّرت لي ردود أفعالي تجاه حيوات أمي، خالتي، جدتي، أنا وأخواتي، وحتى صديقات وجارات أمي.

لكن ماما كانت مقتنعة في وقتٍ ما أن النسوية أتت لي عن طريق الدراسة، وأنها محض كلام كتب وتأثير أخريات حولي. وتقول تيتا ردًا على هذا، أن نسويتي تأتي من المنزل، فأحب هذه الجملة وأعيد تفسيرها لنفسني لاحقًا كلما شعرت أنني أبالغ في ما رغبت فيه، في ما غضبت منه وفي ما فعلته حيال ذلك الغضب.

فبعد التعثر، تدخل النسوية منزلها ونبدأ في فهم الأشياء.

أكتب هذا النص من غرفة أستطيع القول أنني صنعتها وحدي، أشعر بالفخر حيالها وحيال منزلي كله. يرى البعض أنني مهووسة ببيتي، ويرى آخرون أنني نجحت في خلق مساحة دافئة وآمنة لنفسي. وأعلم جيدًا أن كان لهذه الغرفة ثمنٌ باهظٌ دفعته، ولكنه ثمنٌ يستحق ما يُدفع من أجله؛ ففي هذه الغرفة، فهمت كيف كانت أُمي - التي خفت لسنوات طويلة أن أصبح مثلها، أي أن آخذ نفس قراراتها - أكثر النساء تأثيرًا في حياتي، وأنها هي التي غرست النسوية بداخلي حتى وإن تشاجرنا الآن بسبب اختلافنا حول مدى حرية نساء أخريات في التعامل مع أجسادهن. وأعلم أن هذه الغرفة - التي كلفتني حزنًا كبيرًا أحاول كثيرًا أن أمحوه من هذا البحر الذي نما بيني وبين ماما على مدار السنوات - هي المكان الذي تنحى فيه الغضب واستطعت أن أفهم أن تعثري بالنسوية يأتي من أول بيت، وأن النسوية وجدت مكانًا في بيتي ليس فقط بسبب غضبي حيال خيارات أُمي، وإنما من كل الأشياء الأخرى التي فعلتها وهي تعلمنا كيف نكون بناتًا ثم نساءً يعتمدن على أنفسهن قبل أي شيء لأنه الدرس الذي علمتها إياه الحياة. أشياء كلها تبدو صغيرة أمام الغضب الذي أندرتني أُمي أنني حتى لو «مشيت» لأعيش وحدي سيبقى معي، لأنني لا أرغب حقيقة في التخلي عنه.

كل تفاصيل أُمي تعود لي عندما أحاول فهم غضبي وفهم دروسي الأولى في النسوية، تفصيلاً مثل أنها كانت لسنوات تجاوبني على سؤال طفلة صغيرة تلعب بشعر أمها الناعم الأسود الذي لا يشبه شعرها الملولو الفاتح حتى أتمت العشرين عامًا: «ماما، بتحبيني؟» فتجاوبني وتقول مرة «آه طبعًا بحبك»، ومرة أخرى «بحبك جدًا» دون أن تقلل من القلق الذي أشعر به حتى الآن، وأتساءل لو أن هذا القلق أنها قد لا تكون تحبني ما يزال معي بسبب هذه الكلمة الكبيرة المبهمة «النسوية»، وبسبب الاختلاف الذي تخلقه بيننا.

هل للنسوية إرثٌ نحتلمه حتى ونحن نرفضها؟

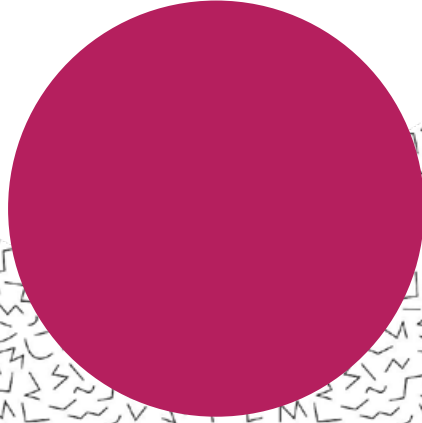
سبحت مع نساء عائلتي مراتٍ لا أستطيع تذكرها. نزل حمام السباحة ونسبح، رايح جاي، رايح جاي، نتحدث بين الجايات والرايحات قليلًا، نقف لنعدّل البونية، نتناقش في متى نخرج من البيسين لنستحم، ونتسأل عن الساعة لنعرف إذا ما اقترب يوم السيدات من نهايته. وفي يوم ما، في واحدة من الجايات، تتسأل أختي الكبيرة إذا كانت تعاسة النساء إرثًا تحمله بناتهن، فيكون مكتوبًا علينا حيوات فيها كل ما احتوته حيوات أمهاتنا من قسوة. هل هذا جزءٌ من الإرث الذي يقع على أكتافنا في سلالات أمهاتنا وجداتنا؟ وهل لنا حق الرفض؟

أفهم غضب أُمي من هذه الكلمة، هذه الكلمة التي حملت كل تعقيدات علاقتي معها واختلافي عنها. هذه الكلمة هي التي تفسر هذا الشعور بالرفض، شعوري بالرفض منها لأننا نختلف،

شعوري بأنني أرفض أن أقبل بما قبلت هي به، وشعورها هي برفضها لها؛ لخيارتها، لحياتها، لرأيها، لنصيحتها بأن النزول من على الأرصفة والخروج إلى الشارع فيه خطر على الأرواح والأفئدة. النسوية حملٌ لا نختاره، ربما حاولنا تغيير مكانه من حملٍ على ظهورنا ليصبح كومةً من الغسيل المتسخ نحتضنها بين يدينا، فيكون علينا التعامل معها وتقبّل روائحها.

تسبح كل نساء عائلتي بجدارة وسهولة في الماء، في البيسين وفي البحر، ويعلمن بعضهن البعض، ويطفين على السطح وقتما احتاج الأمر، ويصلن لنقطة الراحة دائماً بهدوء ودون معاناة. يصلن ليلتقطن أنفاسهن ولترتاح أجسادهن، فالسباحة هي الرياضة الوحيدة التي تأخذ حمل الجسد من على عظامه: تخف معها قلوبنا، وتتبخر همومنا في الشمس، ونتقبل اختيارات بعضنا البعض لأننا في الماء؛ نحن نسبح، وهذا ليس مكاناً للشجار حول مدى نسوية خيارات واحدة منا.

أريح ركبتي المتعبتين من وزني الزائد في الماء، وأتساءل: ألهذا تعلمنا السباحة؟ وأعترف بيني وبين نفسي، أن ماما كانت على حق، عندما قالت أنني لا أرغب في التعامل مع غضبي، وأ أنني لا أريد أحداً أن يقول لي أنني أخطأت. وهي على حق أيضاً حين تقول لي أن الولد الذي أحببته لم يُحبنى أبداً، وأ أنني أهرب من الحياة وخوفي منها بتبني الحيوانات. مُحقة هي عندما تقول أنني درامية، وأشياء كثيرة أخرى، أهمّها أنه من الحظ الجيد جداً إننا بنعرف نعم.



العودة إلى البيت

كتابة: ح



نبذة عن الكاتبة:

متمسكة بحاجات قليلة زي إيماني
بقدره «الكلمات» على تشكيل معرفة
شخصية وسياسية بتخلي الحياة والواقع
أقل عتمة، والتمشيات الطويلة في
شوارع أعرفها أو ماعرفهاش، وأملي
في احتمالية إن غداً يومٌ أفضل لسكان
الكوكب.



البيت

عندما أفكر في النسوية، كثيرًا ما أفكر في «البيوت» بمعناها المادي الملموس، وأيضًا بمعناها في المجاز؛ ما تحمله الكلمة من دفء يصف شعورًا أو انتماءً ما، أو حنينًا لانتماء. كان تركي لمنزل عائلتي خطوة التمرد الأولى التي اتخذتها في سبيل أن أتحرر كفتاة تنتظر بداية حياة تشبهها؛ وبالفعل كانت بداية لأكون الشخص الذي أنا عليه الآن. وبعد مرور وقت كبير، تعرضتُ لفرص ومساحات خارج حدود مدينتي الأولى الصغيرة. ما لم أدركه وقتها هو أنني لم أنتقل فقط من منزل والدتي، بل رفضته، ورفضت كل ما يتعلق بالمنزل والعائلة؛ شكل العائلة الذي عرفته، وأي شكل آخر بديل له، ورفضت قيود نشأتي.

أجلس الآن بعد مرور ما يقرب من سبع سنوات على اللحظة التي خرجت فيها تدريجيًا من منزلي الأول، الذي احتوى سنوات عزلي في بيتٍ طيب خلقته أمي لي ولأخوتي لكي نكون «أحسن ناس في الدنيا»، كما اعتادت أن تقول. أمي امرأة جميلة جدًا وأم قوية، لا تحب التحدث كثيرًا عما يؤلمها، تحمل مسؤولية منزل، وثلاثة أطفال، وأمها المسنة، وآلام الحياة على عاتقها، دون رجل، ودون مصدر دخل ثابت. ليس لديها سوانا، ونفسها، والكثير مما تريد إثباته كي لا تشعر بأنها فشلت في تربيته.

بدايةً من فترة مراهقتي، التي أردت فيها اكتشاف الحياة، حتى صرت شابة في منتصف العشرينيات، تعرضت باختياري وبالصدفة للكثير من الجمال والبهجة والحب، وكثير من الفقد والألم والقهر والغضب على النطاق الشخصي والسياسي رغمًا عني أيضًا. ما اختلف في إدراكي مؤخرًا، هو تلك اللحظة التي أوجعني صدري فيها عندما وعيت بأنني رفضتُ، بقسوة، أمي لفترة كبيرة من حياتي؛ رفضتها لكي أكون أنا، رفضتها دون أن أعني حبي لها، وإعجابي بها وبحياتها، والأمان الذي أشعر به حولها. فقدنا أنا وأمي وأخوتي منزلنا الذي شهد سنوات من حياتنا لمدة لا تقل عن 18 عامًا، وفقدت معه أمي حبيبًا/شريكًا أخيرًا، ولاحقًا فقدتُ أنا منزلي الذي شهد سنوات حياتي الأولى كفرد مستقل، ومعه فقدت حبيبة/شريكة، ومن مروا على منزلي من أصدقاء طاب قلبي بهم، لكنني لم أشف من مرارة سوء الاختيار لتغيير بهذا حياتي كما أعرفها.

عائلتي من النسويات

أمي علمتني الحنية وما يتطلب لكي أتحايل على الحياة حتى أعيش بعضًا من الراحة، وأتمسك

بما أريد حتى لو لم أصرح بهذا، أُمي جعلت -بدون أن تعرف وبدون أن اشارك معها- هضم ما قالته وكتبته أمهاتي النسويات سلسًا. أُمي جعلتني نسوية.

لا أشعر بالغرابة في تعريف مفضلاتي من الكاتبات والناشطات النسويات بأمهاتي، فهن أنقذن حياتي حرفيًا ومنحني بيتًا دائمًا، بيتًا تتكون أرضيته من الأسئلة، وينفتح سقفه إلى السماء، ويملأه الدعم والحب والتعافي من القهر والمحى وآلام المعيشة في مجتمعات تريد السيطرة على النساء، بأنظمتها وقوانينها وعنفها وتمسكها بتصور وحيد عن النساء، وصورة واحدة مغايرة للعلاقات، وإطار واحد للمعيشة لا يسع اختلافاتنا، بيتنا النسوي مليء بالشقوق في حيطانه الصلبة مثلنا تمامًا كنساء.

أمهاتي من النسويات صنعن من رغبتني في معيشة حياة أختارها واقعًا من الممكن حدوثه، وليس فقط رغبةً غير ناضجة، بالرغم من كل العقبات، وبموازاتها.

وجدتني ووجدتهن، رفيقاتي النسويات، اللاتي جمعني بهن إيماننا النسوي، وطموحاتنا المتواضعة في عالم أفضل، ووجعنا وغضبنا وشغفنا. أفراد عائلتي من النسويات موجودات بأشكال مختلفة، منهن من ينخرطن في بناء واستمرارية حركة اجتماعية وسياسية غير راکدة، ومنهن من يستضفن حفلات ليلية لنساء في منازلهن، ومنهن من يعزلن عن كل المجتمعات، لكنهن حينما يستطعن، يشكلن فرقًا فعلاً، حتى لو بسيطًا.

عائلتي من النسويات يجرى دمها فيّ، بدايةً بكلماتهن المسطورة في الكتب أو في فضاء الإنترنت الواسع، لتصير شحمًا ولحمًا، وتتمثل في رفيقات عرفتهن لاحقًا انخرطن في العمل النسوي بأشكاله المتنوعة.

النسوية كفعل وحيد

يرافق النسوية شيء ما من الوحدة، فنتيجةً لتشكّل الوعي عند كل منا، نما بداخلنا نوع ما من العزلة عن المجتمع وعادةً عن عائلاتنا الأصلية نفسها، حتى يسعنا أن نكبر. ترتبط محاولتنا لأن نكون أنفسنا فعلاً بالعزلة وبالقوقعات الاجتماعية، ربما ذلك لأن اختياراتنا ما تزال غير مألوفة لمن حولنا.

أرى أن كل شيء في حياتي مرتبط بالنسوية؛ عملي المستند إلى تلك الأيدولوجية، ودائرتي الاجتماعية، وكوني امرأة أولاً، ومثلية ثانياً. إذا فرغت حياتي من النسوية، فقدت بوصلتي وصرت تائهة.

رافق النسوية شعور بالوحدة منذ بدء تعرفي على الخطاب النسوي المؤلف في مصر، الذي لم أجده يمثلني كما أنا؛ لم أجد لذاتي وهويتي المختلفة مكاناً داخله، تختلف تجربتي عن تجربة نسويات كثيرات ممن قرأت لهن وكن مرجعي الأول لرؤية الدنيا والمجتمع من موقعي كأثني مختلفة؛ مرجعي الذي يدلني على أن لدي اختيارات مختلفة عن المحددة لي مسبقاً. ترتب على ذلك أنني تعلمت الجزء الأكبر من نسويتي من نسويات لا يتحدثن لغتي الأم، ولا ينتمين لجيالي، ولم يعملن في السياق الذي أعيش فيه؛ هن كاتبات وشاعرات نسويات ملونات وسوداوات، عاشت أغلبهن في أمريكا كمهاجرات. اختلفت وتشابهت معاناتهن أمام سلطوية لون البشرة الأبيض، وسلطة اللغة الإنجليزية، وسلطة المجتمع المُشكّل فقط ليستوعب العلاقات والشراكات العاطفية والجنسية المغايرة، وسلطة المجتمعات الأبوية. نسويتهن كانت الأقرب إلي، لكنني حتى الآن كنسوية في منتصف عشرينياتها، في عام 2018 بمصر، لم اقرأ عن صراعاتي بلغتي الأم، مع أنني أعرف كيف عاشت نسويات في سياقات وبلاد مختلفة وكيف نجين وربما كيف انهزمن. لا أعرف أحياناً من أين ابدأ وماذا يعني أن أكون امرأة مثلية أو نسوية في بلد ظالم وقبيح ومشوه سياسياً. قلة/انعدام توثيق تجارب نساء يشبهنني من موطني يجعلني أشعر بقلّة الحيلة نوعاً ما، ويشعرنني هذا بشيء من الوحدة، وبأن هناك نصوصاً لم تكتبني، وتاريخاً لم يشملني، وشاشات سينما لم تعرضني، ومحطات راديو لم تذع صوت حياتنا كنساء.

لكل طريق كآبته

أجدني أواجه أنا ورفيقات لي سؤالاً يثقلنا؛ سؤال يرتبط بقيمتنا كبشر، أي بدون عملنا في النشاط النسوي والحقوقى. بالطبع العمل والاستثمار في إحدى حركات التغيير هو شيء مرهق، وبما أن عملنا مقترن بحياتنا الشخصية، أصبحت العودة عن ذلك الاختيار تبدو أمراً مستحيلًا؛ كيف أراجع عن شغف وإيمان استثمرت أيامي فيه، ولا يمكن تحديده بساعات عمل. ماذا نفعل بإنهاكنا العاطفي كنسويات؟

في دائرتي الاجتماعية، تختفي الفروقات والامتيازات الطبقية في ظل تشابكنا كسيدات

«متحدرات» ذوات توجهات جنسية غير مغايرة، وناقداً يتبنين آراءً سياسية شبة موحدة، ما دمننا لا نركز في تلك الفروقات كثيراً. لكن مع الوقت، وفي ظل غياب قيمة ما نقدمه، تذوب تلك الأشياء التي توحدنا، لتواجه من لا تتمتع منا بامتيازات العيش مخاطر عديدة. تزداد قسوة الواقع مع قلة جودة التعليم الذي تلقاه بعض منا، وقلة فرصنا خارج البديل غير الآمن وغير الدائم الذي خلقناه، وربما لا نعرف شكلاً للحياة خارجه (كمجموعات نسوية وحقوقية).

أنا الآن، جالسة في غرفة محاطة بوحوش كآبتي التي وُطدت علاقتهم بي فأصبحوا جزءاً من حياتي، أشعر بهم عند استيقاظي من النوم، وعند عودتي له، وما بينهما؛ أولهما وحش الخراب الاقتصادي في بلد يأخذ منا قدرتنا على التأقلم مع الحياة، واحتياجنا لتدبير أمورنا المادية كطبقة متوسطة؛ ووحش السلطة وبطشها، وانتهاكات الحكومة الحالية والسابقة التي تطبق على أنفاسنا (نحن الجيل الذي أراد أن يعيش بقدرٍ من الحرية)؛ ووحش الإحباط بعدما ذقنا جمال اقتراب التغيير بعد ثورات سلبت منا الكثير؛ ووحش كوني امرأة تحاول رجلاها أن تقوى على حملها، رغم صعوبة الخيارات المتاحة أمامها في بلد وفي عالم قررا لنا خيارات مسبقة، إذا خرجنا عنها شقيناً (تشقى النساء في كل الأحوال)؛ ووحش هشاشة الهوية المثلية؛ ووحش الفرع والاختناق وعدم القدرة على التنفس في يوم يبدو عادياً جداً.

العودة إلى البيت

تخف حدة تلك الكآبة والوحدة عندي بأفعال رفضتها مسبقاً، ثم اخترتها حالياً بما يناسبني.

لاحظت مؤخراً أنني لا أهرب من البيت، بل أسعى لخلق مساحات آمنة ولتقوية علاقتي بعائلتي الأولى التي لا تعرف عني الكثير لخوفي من أن يرفضوني، لكنني أحاول أن أكون بقربهم بما يبدو مناسباً الآن؛ وأسعى للاستثمار في عائلتي البديلة وفي بيوتنا، بدايةً من أماكن العمل إلى المنازل الحميمة التي تضمنا ومساحات النشاط السياسي، إلى رغبتنا ومحاولاتنا لأن نكون طبيّات وداعمات.

قرأت ذات مرة في نص لغلوريا آنزالدوا، تقول فيه إن إحدى طالباتها في جامعة نيوا إنغلاند ظنت أن «الهوموفوبيا» هو الخوف من العودة إلى البيت/المنزل/الوطن بعد الإقامة بعيداً عنه¹. ظلت العبارة عالقة في ذاكرتي تلمس وترًا ما في قلبي؛ قرأتها منذ سنوات وأنا بعيدة عن بيت أمي، خائفة من أن تعرفني كما أنا، فتلفظني وأصبح خائفةً أنا الأخرى من العودة إلى البيت بعد إقامتي بعيداً عنه.

مقاومة الإحباط

كتابة: ن.ن

نبذة عن الكاتبة:

نسوية وعاملة بالمجتمع المدني.
حصلت على بكالوريوس علوم
وحاليًا تدرس الحقوق، تهوى المشي
والسباحة وتربية الحيوانات.



أعترف بأنني أتمتع بامتيازات غير متاحة للكثيرات من بنات جيلي، ولدت لأسرة ميسورة الحال في مدينة هادئة. كنت الصغرى بين أخوتي مما أتاح لي قدرًا من الحرية، واللعب، والإفلات من العقاب أحيانًا بحماية أخوتي أنفسهم. أتحدث أكثر من لغة، درست في مكانٍ مرموقٍ إلى حد ما، لم أتعرض للعنف البشع الذي رأيته يحدث في ما بعد لأصدقائي ومعارفي. فلم أختن ولم أحبس في المنزل، وأعمل في مكان أحبه، مكان نسوي، يعمل على دعم فريقه ودعم فئة مهمشة من نساء ورجال يسكنون مناطق عشوائية أو فقيرة لا يهتم بها أحد تقريبًا، وأتاح لي السفر والتعرف على العالم.

لكنني غاضبة

غاضبة لأن ولادتي أنثى جعلت البعض يعتقد أن بإمكانهم التحكم بي وباختياراتي من خلال المجتمع، والعادات، والتقاليد، والدين، والقوانين، وعم محمد حارس العقار، ومساعدتنا المنزلية، وصاحب السوبر ماركت اللصيق بالبيت، والجيران، وغيرهم. غاضبة لأنني أرى على مساحات التواصل الاجتماعي بشرًا جعلوني أراجع إيماني بحقوق الإنسان أكثر من مرة، وأحارب رغبةً جارفةً في تحويل هذا الغضب لفعلي جسدي عنيف إن استطعت، والتشهير بهم. ذلك اليوم، قرر شخص ما إتحافنا برأيه حول حق الإنفاق على ابنه من مطلقة. يرى هذا الشخص أن ذلك الابن لا يستحق أن يُنفق عليه كأخوته من أم أخرى عقابًا لأمه التي قررت الطلاق والخلع. تأتي التعليقات من أشباه بشر مؤيدين لرأيه ومهددين النساء المطلقات أو طالبات الطلاق بأن القوانين ستتغير بحيث لا تحصل المطلقة أو أبنائها على قرش واحد من أبيهم بعد الطلاق. لكم أنا غاضبة وحانقة على هؤلاء الأشخاص، لا أذكر كمية الأفكار الرهيبة التي راودتني عنهم. هؤلاء البشر تذكروا فقط أن الزواج هو لشهوتهم ورغبتهم للجنس في «الحلال» كما يقولون، لكنهم نسوا أنه أيضًا مسؤولية ملقاة على عاتقهم تجاه أولادهم وزوجاتهم. لم يكف مثل هذا الشخص دفعه لمطلقة لرفع قضايا للحصول على حقوق أبنائهما، بل تقبل بصدر رحب أن يدفع أموالًا طائلة للمحامي على حساب أطفاله انتقامًا من أمهم. هو يعلم تمام العلم أن المحكمة في جميع الأحوال سترمي للأُم جنيهاً قليلة، لكن إمعانًا في ذلها وتحكمًا في حياتها يرفض الإنفاق.

أنا غاضبة، لأن شرائي لسيارة -يا للسخرية- لم يكن بمحض إرادة أو رغبة حرة، اشتريتها انقواءً للتحرش الذي ينهكني نفسيًا بصفة يومية، كنت أتمنى طاقة للإخفاء أيامًا كثيرة، اضطررت لدفع أموال طائلة لأن الدولة قررت بمنتهى البساطة ألا تؤدي وظيفتها لحمايتي، هذا الامتياز كان متاحًا لي لكنه غير متوفر لكثير من صديقات يعانين بشكل شبه يومي من التحرش والمشاجرات والمشاحنات لأنهن قررن الرد وعدم الصمت.

الدرس الأول الذي تعلمته في عملي ألا أثق بالبشر ثقة عمياء، فمن نراهم يدافعون عن حقوق الإنسان ينكشفون ببساطة حين يكون الأمر متعلقًا بحق الفتيات والنساء، لكنني تعلمت هذا الدرس بالطريق الصعب. ذلك الصحفي الذي ما زلت أكن له الاحترام يتفاخر على حسابه الشخصي بأن النسويات «خرابات بيوت» وأن أفكارهن «المغلوطة» حول طاعة الزوج هي السبب في ما نحن فيه الآن من دمار أخلاقي واجتماعي. هل يجب علي طاعة زوجي فقط لأنه رجل وأنا امرأة؟ فقط لكونه يتبول واقفًا في حين أفعلها وأنا جالسة؟! كيف تمخض كل هذا الإحساس بانعدام الأمن الداخلي لدى معظم الرجال؟

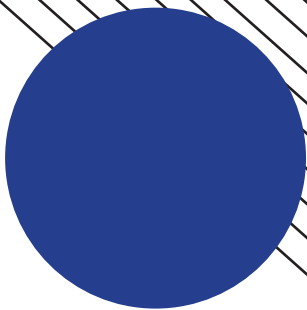
أنا غاضبة، لأن حربي ضد الاضطهاد وعدم المساواة والتمييز تُترجم دائمًا حربيًا ضد الرجل وكأنه مقياس الكمال أو الهدف الأسمى، لكنني غاضبة من نفسي بشكل أكبر. أحارب أفكار الشخصية التي تربيته عليها يوميًا، أغلبها مرة وتغلبني مرارًا. ما زلت أواجه نفسي بأفكار من عينة «يجب أن ينفق هو لأنه رجل». غاضبة من كل مرة تتعرض فيها فتاة للظلم، وأحملها المسؤولية عن هذا الظلم لأنها غبية لتصديق تلك الأكاذيب البراقة التي صدقتها عن سذاجة أو أنانية محضة، ترجح فيها مصلحتها على محاربتها للعنف. ثم أعود فأشعر بالغضب أنني أرفع عنها المسؤولية وكأنها كائن أضعف، لا حيلة له.

أضع نفسي مكان كل امرأة وطفل من المترددين على المكتب، أعيش قصتها فأغضب منها وأغضب لها حتى قررت الاعتزال عن الناس تمامًا والتركيز فقط على عملي النظري. أغلق عيني وأذني عما أرى وأسمع خوفًا من أن يتحول غضبي الداخلي إلى واقع عملي ضد زوج هذه أو أب تلك. ما زالت بعض القصص عالقة بذهني ولا أنفك أقارن بين حالي ذي الامتيازات وبين حالهن فأغضب أكثر لقصر ذات اليد. ما زلت أذكرها، تلك الفتاة الناجية من اغتصاب عمها. أذكر أنني حبست نفسي في مكثبي كي لا أرى أحدًا من أهلها والا أفرغت غضبي فيهم. يلومون فتاة عمرها 14 عامًا على مأساة تعيشها هي يوميًا، بينما يمرح عمها عالمًا بأنهم لن يحبسوه أو يبلغوا عنه.

أيضًا تلك المرأة التي تعدت الستين من عمرها ومصيرها كان الشارع، فزوجها -الكامل ذو العقل النابه- قرر الزواج من فتاة أصغر منها تعيد شبابه المتحلل وطلقها، ولأن قانوننا العزيز صاحب المئة عام لا يعطيها أي حقوق للسكنى أو لتقسيم العوائد المشتركة؛ وجدت نفسها في الشارع بلا أموال أو مصدر دخل أو مكان سكن. قانون عاق يحكمنا ويأربيت عجب! الأسطورة تقول إن قانون الأحوال الشخصية مناصر للمرأة ويُخضع الرجل لها سالبًا كل حقوقه. «كل» حقوقه هذه تتمثل في حق الحضانة الذي يذهب للأم مباشرة دون الرجل، وإن الملايم التي يدفعها نفقة شهرية تعتبر عائقًا ماديًا كبيرًا له. يا حرام، هو يرى أن ألف جنيه في الشهر كثير عليه ويجب التخفيض، وأن مؤخر الصداق لا يجب عليه دفعه. نسي أو تناسى أنها من

ينفق أغلب الوقت على الأطفال بشكل كامل، وأن حياتها كامرأة انتهت فلا تستطيع الزواج مرة أخرى حتى لا تسقط الحضانة. «أنا حياتي خلاص انتهت ومش عايزة غير ابني» قالتها لي باكية حين هاتفتني معترضة على قانون الاستضافة. أقف عاجزة في أحيانٍ كثيرة عن التصرف، ما بين فتيات يعانين عنفًا بشعًا ولا سبيل للتدخل، وبين الصراع الدائم مع أفراد قرييين مني حول حقوق النساء «المفتريات» الذي يضيع الطاقة القليلة التي أملكها. بالرغم من ذلك ما زلت مؤمنة بأن الأفضل قادم وأن مكاسبنا كنساء لن تتزحج.

تعلمت من عملي أن البشر أكثر تعقيدًا مما تخيلت، وأن الشر المحض يتولد نتيجة البيئة والتهميش واختلال موازين القوى. أصبحت أرى الناس بمنظار مختلف، أبحث عن الحقائق والأسباب وأحاول ألا أنجرف مع التيارات المساندة لرواية واحدة. الحقيقة الواحدة هي أسطورة؛ لكل قصة أكثر من جانب وأكثر من حقيقة ووظيفتنا هي البحث عنهم لتقديم الدعم بأفضل السبل. تعلمت أن أقدر المساندين لي وأقدر الأفعال الصغيرة التي نتبادلها معًا. القصص المستحيلة التي رأيتها في المكتب سواء من زملائي أو من المترددين علينا ظهر لها حلول متعددة، لذا صرت لا أؤمن بالمستحيل، أؤمن بأن التغيير للأفضل قادم وأنا -النسويات- لن نستسلم.



التحرير عملية عنيفة

كتابة: نيرة أنطوان
ترجمة: سماح جعفر



نبذة عن الكاتبة:

شريكة مؤسسة في موقع «مدى مصر». عملت في مجالات مختلفة، على رأسها «محررة مجتمع»، إذ حاولت توسيع نظرتنا وتعميقها تجاه قضايا الجندر. سأبدأ قريباً في التدرّب للعمل كمعالجة نفسية. أمل أن أصبح قادرة في غضون سنوات قليلة على العمل مع معالجين/ات مؤمنين/ات إيماناً تاماً بالنسوية. كما تشمل اهتماماتي كتابة وتحرير موضوعات تتناول القضايا ذاتها.



لقد مزقتُ النص. أخذتُ ما في المنتصف وجعلتهُ البداية، أزالتهُ مقدمتي ووضعتُ النهاية في المنتصف. وحذفتُ جزءًا كبيرًا.

ثمّة شيء قاسٍ حيال ذلك، فقد أمضيتُ أشهرًا أفكر في هذا النص، ثم أسابيعًا لأكتبه. أجريتُ عدة محادثات حوله، إلى جانب مروري بلحظات من اليأس.

بعد أن قرأتُ تحريرها بضع مراتٍ، أدركتُ أنه باتَ نصًا أفضل؛ باتَ مُحكّمًا وانسيابيًا. فقد كنتُ أحاول قولَ الكثير في آن، وفي أحيانٍ أخرى اعتقدتُ أنني كنتُ أقول شيئًا، بينما من الواضح أنني لم أقل الكثير.

نجح النص. أحيانًا أقول أن «فلانة» حررتَه بشكل رائع، وأحيانًا أنسى.

ثمّة شيء قاسٍ حيال ذلك. لكن هل تقل سعادتي بتحريرها لما تحملهُ العملية من قسوة؟ أظن ذلك (فقد قَبِلتُ إعادة الهيكلة والتلاعب ببعض التفاصيل الصغيرة)؛ إلا أن سعادتي من عدمها لن تحدث فرقًا، فما فعَلته لن يتغير.

التعليقات التي تصلني من محررةٍ حول كتابتي هي غالبًا تنويعات على عبارة «لست متأكدة/ مما تقصدين بهذه الفقرة». في بعض الأحيان لا تكونين متأكدة، أو أنك تلاعبت بالعبارة كثيرًا ولم تعودني تفهمينها جيدًا. لذا ليس من المفاجئ رؤية مثل هذا التعليق. وفي محاولة الشرح، تدركين أنها نقطة خلافية، أو تجدينها متماسكة. في أحيانٍ أخرى تكون فقرتك المفضلة في النص. وفي كثير من الأحيان تكون جوهرة، تاج نصك، ويأتي هذا الشخص ويشير إلى أنها ليست واضحة أو مطبقة.

وبالمثل، أقدم التعليق ذاته كمحررة، كما يصلني ككاتبة. التحرير هو عملي الرئيسي، لا الكتابة. لكنني أعتقد أن جزءًا من مسؤوليتي كمحررة هو أن أكتب بغرض النشر من وقت لآخر، وهذا يعني إخضاع عملي للتحرير. يُحسّن العمل مع محررات مختلفات من تحريري، ويمنحني الفرصة لمواجهة الهشاشة التي ترافق عملية الكتابة، لأضع لما يمكن اعتباره عملية وحشية أو عنيفة.

تشغلني فكرة أن التحرير عملية عنيفة بطبيعتها، وقد تزايد الأمر بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية. في السابق، ربما كنت أقول إن جزءًا من كونك محررة نسوية هو أن تكوني، أو تحاولي أن تكوني، غير عنيفة. لكن الآن أعتقد أن جزءًا من كونك محررة نسوية يتعلق بمواجهة العنف في التحرير.

بالتفكير في كوني محررة نسوية (ما يتعلق بممارساتي - وبالأحرى تطلعاتي - التحريرية)، أعتقد أن هناك الكثير من التداخل بين التحرير النسوي والكتابة النسوية، فمثلا كيف نستخدم اللغة أو نفكر في الرمزية؟ وسواء فكرت المحررة في نفسها كمرشدة أو لا، فهناك أيضًا تداخل كبير بين أن تكوني عرابة¹ نسوية وأن تكوني محررة نسوية. وأعتقد أن ذلك يرجع لكون المحررة النسوية لا تأخذ النص بشكل منفصل وتغفل الكاتبة، كما أنها لا تعطي الأولوية لمشاعر الكاتبة على الإخلاص لعملية التحرير الصارمة.

1- يأتي استخدام «عرابة نسوية» كترجمة إلى «Feminist Mentor» لما تحمله دلالة الكلمة على «الرعاية» - المحررات

لكنني أريد أن أفكر قليلاً فيما يخص التحرير، لأتحدث عن حرفة التحرير نفسها. يأخذني هذا إلى تفاصيل صغيرة - مثل طريقتي في تتبع التغييرات، وكيف أضع علامات صغيرة في جميع النصوص التي أحررها.

أعتقد أن انشغالي بفكرة أن عملية التحرير عنيفة بطبيعتها يرتبط بطريقة ما بالنسوية، لأن وجودي كامرأة في مجتمعات أبوية مختلفة - في المملكة المتحدة وفي مصر - والوعي بذلك هو لمراقبة حتمية الوقوع في العلاقات الاجتماعية العنيفة. علّمتني النسوية كيفية التشكيك في ممارسات معينة من الفكر والسلوك، لكن ذلك لم يدفعني إلى الاعتقاد أنه بإمكانني ألا أنخدع بالعلاقات الاجتماعية العنيفة، أو أن أتحرر من التواطؤ في استمرارها.

إن اتقاد رغبتني في عدم التواطؤ ليست كافية، كما أن اتقاد وصدق رغبتني في اللاعنف لا يمكن أن تزيل العنف القائم في الصدام الاجتماعي أو في عملية التحرير.

أعتقد أن القبول بوجود عنف حتمي بدلاً من محاولة إنكاره، أو محاولة القيام بتحرير غير عنيف، هو أمر هام. وبالطبع فإن التطلع إلى أن تكوني محررة غير عنيفة أمر جيد، رغم أنه ليس طموحاً قابلاً للتحقيق. مشكلتي هنا لا تكمن في إستراتيجته - فمن المهم على المستوى الشخصي والسياسي أن نتطلع إلى أشياء غير ممكنة دائماً للاقترب منها أكثر. لكنني أعتقد أنه من المهم دائماً الاعتراف بحتمية الفشل لنصل إلى نتائج أقل عنفاً في نهاية المطاف.

وبكل بساطة، فإن انشغالي بعنف التحرير يأتي من نسويتي. وبالإمكان اعتبار الأمر كذبة وحقيقة معاً. إن طبيعة التطور الفكري والسياسي تعني أنه لا يمكنك أبداً أن تحلل من أين يأتي أي جزء منك، رغم أننا نفضل خداع أنفسنا بخلاف ذلك. ثم هناك العنصر الشخصي؛ ربما لأن لدي ميل لأن أكون عدوانية دون أن أنتوي ذلك فعلاً، ولأنني أفكر في مسألة العنف حتى عندما لا تكون الهدف.

على مستوى آخر، لا علاقة لطريقتي في التحرير بما أسميته «تطوري الفكري والسياسي»، لكنها متعلقة كلياً بأختي. عاشت ليلي حياتها متحملة ألماً ساحقاً. ومن الأشياء الأساسية التي تعلمتها خلال الوقت الذي قضيته معها، أنه من المستحيل رؤية أو فهم أي شخص آخر ومعاناته، وأننا لا نفهم الآخرين من خلال التفكير في أننا نستطيع وضع أنفسنا مكانهم، بل بالاعتراف بأننا لا نستطيع.

تكمن المفارقة في أنه من خلال الاعتراف بحتمية الفشل، يمكننا أن نفشل بشكل أقل. (أتمنى بالطبع لو أنني تعلمت هذا الدرس سابقاً).

تأملين في النهاية كمحررة أن تجعل النص نسخة أفضل من أصله. إنه مسعى مثالي ومتعجرف بشكل استثنائي. لأنني إن اعتقدت أنه من خلال محاولتي بشكل حثيث ألا أكون عنيفة أثناء انخراطي في هذا المسعى الغريب، فسوف أكون قد هددت نفسي بشعور زائف بالأمان، ولن أبصر العنف الذي ارتكبه.

نحن نعلم أن السلطة تكمن في جميع العلاقات الاجتماعية. نحن نعلم أن علاقات السلطة

وعنف الصدام الاجتماعي تتشكل من خلال التنظيم الاجتماعي للسلطة، وأن الطبقة، والنوع، والعرق والجنس هي عناصر واضحة. هناك أيضًا تفاصيل محددة: في حالتي، قد أتعامل مع كاتبة لدي السلطة لنشر عملها أو رفضه، وبالنسبة لبعض الكتابات قد يكون هذا أمرًا جليلاً. فللمحررة خبرتها وللكاتبات خبرتهن. وهناك مجموعة معقدة من علاقات السلطة التي يجب أن أكون منتبهة لها عند التعامل مع كاتبة، وسأخدع نفسي إذا اعتقدت أن بإمكانني أن أحدد بشكل كامل ودقيق علاقة السلطة، لأنه ليس بإمكانني إلا أن أذكرها جزئياً - مرة أخرى، حتمية الفشل - وكذلك ربما لا أستطيع أن أسمى أو أرى العنف الذي يكمن في هذا الصدام الاجتماعي.

عندما تدركين أن ما تقومين به ينطوي على العنف بشكل حتمي، فأنت تتقدمين بحذر شديد في عملية التحرير، حتى وإن طرحتي أو اقترحتي تغييرات جذرية. هذا يعني بالنسبة لي أن جزءاً أساسياً من عملية تحرير النص ترتبط بالتروي قبل بدء العمل، وأخذ وقت لقراءته وفهمه، لمواجهته بشروطه الخاصة.

ثمة شيء مريبٌ هنا بالنسبة لي، وهو التذكير بعدم الثقة دائماً بحكمي الأول. أعتقد أن أحد الأشياء الصعبة حول التحرير أنك يجب أن تثقي وتشككي بنفسك على حد سواء (لكن الآن عندما أفكر في الأمر، ربما هذا صحيح في كل شيء، وربما أعتقد أنه ينطبق بشكل خاص على التحرير فقط، لأن ذلك هو ما أقوم به).

إذا كان جزء من دورك كمحررة هو جعل النص شكلاً أفضل من أصله، فالشيء الوحيد الذي تحتاجين إليه هو تمييز الإطناب. قد لا تستخدمين كلمة «إطناب» عندما تقترحين على الكاتبة حذف بعض الأشياء، لكنك قد تقولين أنه يجب حذف ما هو زائد عن الحاجة لأغراض النص. واعتماداً على طبيعة النص، قد يكون من السهل التعرف على ما هو غير ضروري. لكن في بعض الأحيان لا يكون الأمر سهلاً. لا يعني حذف ما هو زائد عن الحاجة في كثير من الأحيان ضمان أن كل جزء من النص فعالٌ أو أنه لا يوجد تكرار. إنها مسألة العثور على ما هو زائد عن الحاجة وفقاً لمنطق النص، هذا النص تحديداً ولا غيره. هذا منطق يجب عليك إيجاداه حتى لو لم توضحيه، وهو أمر قد لا تكون الكاتبة قد فصلته بوضوح. وغالباً ما يختلف ما فصلته الكاتبة عما هو موجود بالفعل.

لذا، في محاولة العثور على المنطق الداخلي لعالم النص، عادةً ما أعيد قراءته عدة مرات (أتحدث عن تحرير المقالات والأبحاث وليس الكتب). لدي القليل من الاختلاجات المتعلقة بإزالة بعض الحطام حتى أتمكن من مواجهة نص، والتي قد تعتبر غير مهمة على مستوى ما. هذا يعني أنه قبل القراءة الثانية أو الثالثة، أصحح الأخطاء المطبعية الصغيرة التي ربما تشتتني. وهذا يعني أنني لا أدون ملاحظات أو أطرح أسئلتني حتى الآن - أنا بحاجة إلى أخذ الوقت الكافي للاستكشاف أولاً - لكن الجهد المبذول لعدم نسيان ملاحظاتي سيصرفني عن

القراءة المفتوحة لفهم النص ليس فقط على ما هو عليه، لكن لما يمكن أن يصبح عليه. في بعض الأحيان، تحتاجين أيضًا إلى التآني جيدا للعثور على صوت الكاتبة؛ والذي لا يكون دائمًا في المكان الذي اعتقدت الكاتبة أنه فيه. بالنسبة لي، هذا يعني أنني أضع علامة عند النقطة التي لدي ملاحظات حولها لأتمكن من تذكرها لاحقًا، وهذا يمكنني من تجاوزها في تلك اللحظة ومحاولة تحقيق قراءة متحررة. أساسًا، كمحررة، أريد أن أجعل النص شكلاً أفضل من أصله، ولأجهز نفسي فإنني أقرأ بهدوء شديد، لتهدئة أفكارى الخاصة أولاً.

يكون الأمر سلسًا عندما تقبل الكاتبة جميع اقتراحاتك. وهو أمر مرضٍ كذلك، لكنه مخيب للآمال بعض الشيء. هناك كاتبات عنيدات ويرفضن التغييرات دون إعطائك أسبابًا. ثم هناك كاتبات يخبرنك لم لا يقبلن باقتراح معين أو يعطينك اقتراحًا آخر. لكنني أميل إلى الاعتقاد بأنه عندما تتحدث وتستجيب الكاتبة، فإنك ستحصلين في نهاية المطاف على نص أفضل، لم يكن بمقدور الكاتبة أو المحررة إنتاجه وحدها. وفي بعض الأحيان، هناك الكثير من المفاوضات التي تجعلني أتوق إلى الكاتبة الطيبة. أستخدم كلمة «الطيبة» بشكل متعمد، كطريقة لاستدعاء حجج فوكو حول إدارة السلطة الأدبية، التي تنتج مواضيعًا وأجسامًا طيبة. لكنها طريقة لتذكير نفسي بأن هذا ليس حقًا ما أريده.

في وقت ما كان التزامي بالمساءلة والشفافية يعني الالتزام بزر تعقب التغييرات في مايكروسوفت. اعتقدت أن احترامي للكاتبات وحرفيتهن يعني أنه من حقهن رؤية كل تغيير مظلّل. الآن أفضل عدم استخدام زر تعقب التغييرات، وبالطبع إذا فضلت الكاتبة ذلك سأبذل قصارى جهدي لاستيعاب الأمر. نظرًا لأن تعقب التغييرات يشير إلى كل تغيير، فتكون هناك خطوط في كل مكان، وينتهي بك الأمر إلى نص يبدو كما لو أنه تم تشويبه. يصبح ورقة مزدحمة للغاية، وبالتالي يصعب على الكاتبة أن تلاحظ وترتكز على التغييرات الرئيسية. ويذكرنا ذلك بطبيعة الحال بنص قامت المعلمة بتصحيحه. لكن الكاتبة ليست طالبة، ولا المحررة معلمة - نحن متعاونات على الرغم من كونه تعاونًا غريبًا.

وددت حقًا لو تمكنت كلتانا من وضع «الأنا» جانبًا، وأعتقد أن إرجاع النص إلى كاتبته بعد تصحيح كل أخطائه هو دعوة لخروج الأنا بقوة كاملة. وبالأنا ربما أعني غطرتنا ورببتنا. وبالعودة إلى مسألة العنف، لأنني أعرف أن هناك شيئًا عنيقًا في عملية التحرير، وأن هناك شيئًا هشًا في الكاتبة التي تعطيني نصًا - نصها - لإخضاعه لتلك العملية العنيفة، فإن المشهد مهياً لظهور الأنا. لذا، أشعر بالمسؤولية كمحررة - كمتعاونة مُنحت السلطة والمسؤولية للقيام بشيء ينطوي على العنف - لدعوة الأنا للبقاء هادئة إلى أقصى حد ممكن حتى تتمكن كلتانا من مواجهة بعضنا في النص بقدر الإمكان، كي نجد معًا نصًا أفضل.

أنتظر... صغًا شرعيًا

كتابة: هند أحمد

نبذة عن الكاتبة:

نسوية في الثلاثينيات من عمري،
أهتم بتقاطعية الدين والثقافة.
تطور فكري من تاريخ الحركات
الاجتماعية ومن النضالات اليومية
في وقتنا المعاصر، أحب الاستماع
لموسيقى الراي.



كم هو شيء صعب أن أسطر وقائع عشتها تتعلق بأيامي، وجسدي، وتعامل المؤسسات الدينية مع ملايين النساء المصريات، وكيف يؤثر ذلك في حياتهن. أود أن أقص عليكم قصصي، التي ما هي إلا مثال لقصص الكثير من المصريات من بنات جيلي. تقبع قصصنا مع أجسادنا في أماكن مظلمة من الذاكرة، يوصمها الشيخ، ويوصمها القسيس، وتعاقب عليها العائلة التي تمثل المجتمع.

ليس من السهل علي أن أحفر في ذاكرتي لأستخرج آلام وإحباطات مرتبطة بما تعرضت له من قهر، أو حتي انتصارات صغيرة، لأنني طوال الوقت في صراع مستمر يستنفذ طاقتي، فقط لأنني ولدت أنثى في مجتمع أبوي؛ أنثى تحكمها كلمات مقدسة، وتمنح هذه الكلمات سلطة طاغية لشخص، من الصعب مقاومتهم أو معارضة آرائهم.

عن بيتنا

دعوني أحكي لكم قصصي وأسردها حتى نتعرف على جانب مما مرت به. ولدت لأب وأم من أصول غير قاهرية، ولدا في القاهرة، وكانا في الأصل ينتميان إلى الطبقة الدنيا، ثم ارتقيا اجتماعيًا بسبب التعليم، والعمل، ودأبهم على تحسين وضعهم الاجتماعي. سمياني أنا وأخوتي بأسماء ذات خلفية دينية، يسهل بها معرفة أنني أنتمي لعائلة متدينة. كان من السهل أن تلاحظ مظاهر تدين أهلي، ما زلت أتذكر برنامج أمي اليومي في البيت، فهي تؤدي أعمالها المنزلية أثناء الاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم، وعند تمام الثامنة مساءً تستمع إلى قارئها المفضل للقرآن، عبد الباسط عبد الصمد، وتأمرننا بالتزام الصمت حتى تنتهي التلاوة. كذلك أصر أبي علي الذهاب في زيارات منتظمة للمشاعر المقدسة في السعودية، وكانت أمي تتمنى لو تصحبه لمرّة، لكنها لم تفعل قط. أتذكر صور أمي فور ولادتي حين قررت ارتداء الحجاب، مع أن صورها الأقدم كانت تظهر فيها مرتديّة أحدث صيحات الموضة، مثل معظم النساء في السبعينيات وأوائل الثمانينيات. ما زلت أذكر حرصهم على أن أذهب إلى حضانة المنطقة التي نعيش بها من أجل حفظ قصار سور القرآن. عندما بدأت أدرك الأشياء، عرفت أن أبي يواظب على حضور الدروس الدينية في المسجد. كان يحكي لنا في كل أمسية عند تجمعنا لتناول العشاء عن محاضراته بشكل مبسط حتى أفهم أنا وأخوتي. لاحقًا كان لتدين أهلي بالغ الأثر على حياتي؛ رسموا لي خطوطًا علي ألا أحيّد عنها، وكنت قد ضقت بها ذرعًا وحاولت التملص منها.

ألعاب الصغار

ولدت في منزل يجمع أفراد العائلة دائمًا، مما أتاح لنا الصغار أن نلعب معًا، ونكبر معًا.

نحتل البيت ونهرب من الكبار إلى السلم بالعابنا. لم يخلُ لعبنا البريء من محاولات اكتشاف أجسادنا، واللعب بحرية دون قلق، مستكشفين أجسامنا الصغيرة، سواء لعبنا لعبة الدكتور، أو تفحصنا أعضاءنا ببراءة وفضول طفولي. كان هذا ما يربع الأمهات، وعلى رأسهن أمي، التي كانت تصرخ دائماً: «ما تلعبيش مع الأولاد»، وتحذرنني من أن يمس أحدهم أعضائي الخاصة، وتُردد كلما هممت بالنزول إلى الشارع لألعب مع رفاقي: «اوعي حد يقلعك أو يلمسك». وعندما سألت مرة لماذا تقولين هذا، ردت قائلة: «لو حد لمسك تحت هتموتي.. عيب كده». ربت أمي بداخلي خوفاً من هذا الجزء من جسمي، وكان صراخها يعلو وهي تصف هذا الجزء بأنه غير نظيف. عشت فترة طويلة من حياتي أتقزز من نجاسة هذا العضو. لم أجد من يشرح لي كيف يعمل جسمي، أو لماذا تُعتبر هذه الأماكن حساسة. خيمت الضباية على هذه الأعضاء والتشوق لاكتشافها.

اكتشاف اللذة

لم يمنعني صراخ وتحذيرات أمي من أن أكتشف ذاتي وأجد طريقي إلى المتعة الشخصية، ففي سن التاسعة أو ربما الثامنة. امتدت أصابعي الصغيرة لتكتشف أول طرقها للمتعة الجنسية، وكم سيطر علي الخوف من أن أموت لأنني لمست المكان المحظور. لعبت بي الأفكار، فلم أفهم ماذا يحل بي عند الانتهاء، أو لماذا أشعر بهذه الأحاسيس. لم أكن أعرف ما معنى اللذة، لكنني عدت للممارسة «عادتي السرية» أو متعتي الشخصية كلما يحلو لي، إلى أن وشت بي أختي الصغيرة يوماً ونلت عقاباً شديداً لكنه لم يمنعني من الحصول على لذتي المسروقة.

الختان

تُختن البنات في عائلتي قبل البلوغ، أي قبل أن تأتيهم الدورة الشهرية. في بداية دخولي سن المراهقة، اتفقت أمي وخالي على ختاننا أنا وأختي وبنات خالي. كان خالي المحب قائد كتيبة الختان، وعاونته أمي في ذلك، خالي الذي لم أعتد منه سوى سيل من الهدايا الصغيرة من الشيكولاتة والحلوى. بدأت محاولة تهيئتنا للختان، وبالصدفة البحتة، تزامنت محاولات ختاني مع عقد مؤتمر القاهرة للسكان في عام 1994، الذي كان يتناول الصحة الجنسية والإنجابية. و في تغطيتها للمؤتمر، صورت قناة CNN عملية ختان لفتاة صغيرة، مما أصاب الحكومة المصرية بالإحراج الشديد، واستنفر غضب رئيس المؤسسة الدينية الإسلامية شيخ الأزهر الشيخ، جاد الحق علي جاد الحق، الذي أفتى بأن الختان هو سنة من سنن الإسلام، ومن يخرج عنها يخرج عن الإسلام. ضرب الشيخ عرض الحائط بكل المحاولات المضنية لإنهاء مأساة الختان، وسبب مذابح ضد فتيات كثيرات ارتأى أهلها أن يحفظوا قدسية الإسلام بتر أعضاء بناتهم. في هذه الأيام كنت دودة قراءة صغيرة، أقرأ كل ما يقع أمامي من كتب

ومجلات حتى إن لم أفهم كل ما أقرأ. و كانت قراءاتي سبب تمردني على أمي التي أخذت تعديني بملابس جديدة وأطعمة لذيذة بعد انتهاء من عملية الختان، وقالت لي إن هذه العملية مهمة حتى أكبر وأصبح امرأة جميلة. رفضت بعند طفولي ما تقول وصرت أكرر لها مثل البيغاء دون فهم ما كنت أقوله. قلت لها إنني قرأت أن الختان عادة سيئة، وإنني لا أريد أن أجري هذه العملية. استشاطت غضبًا من كلام الجرائد الذي أردده، واتجهت إلى إهانتني وأخذت تقول: «مش هتبقني محترمة وهنلمك من الشقق» إشارة إلى أنني سأصبح امرأة سيئة السمعة والأخلاق إن لم أجر هذه العملية. عاونت نساء العائلة أمي، وحاولن التحايل على عقلي الصغير بالوعود والأمانى الحلوة، لكن كان هناك فرد محوري اكتفى بالصمت ومراقبة الأحداث. كان أبي هو ذلك الصامت الذي أنقذني تدخله حين قال إنه لم يثبت أن الرسول ختن بناته، وأكد لهن أن الختان ليس له أصل إسلامي، وأن حديث «أشمي ولا تنهكي» حديث ضعيف. وبهذا نجوت من الختان، لكنه مورس ضد بنات خالي الأصغر مني سنًا.

عذابات البلوغ

كنت أحلم دومًا بأن أصبح فتى، وأرفض فكرة أنني أحمل جسم بنت. تحاوطني كلمات العيب والحرام التي لا تلاحق الفتيان. إلا أن سن البلوغ في المرحلة الإعدادية حمل لي خبرًا غير سعيد، وهو تأكيد كوني امرأة. بدأت آلامي و مرات إخراجي اللا متناهية مع بروز ثدياي. لم تكن أمي مهتمة أو مدركة أصلًا لأهمية شراء مشدات صدر لي، وتحايلت على ذلك بربط إيشارب على ثديي ببراعة كوميدية، ينتج عنها عقدة واضحة في ظهري، ولم أسلم من تعليقات زميلاتي وزملائي الذين علقوا، إما بخبث، أو رغبةً منهم في تقليل مرات إخراجي بنصحي بأن ربط إيشارب حول صدري ليس حلًا. أنقذتني من هذا المواقف اليومية نصيحة والدتي صديقتي المقربة، التي أبلغت أمي بضرورة شراء مشد صدر لتجنب الإحراج. إلا أن الإحراج لم يتوقف عند هذه النقطة، ففي نهاية امتحانات الفصل الثاني الإعدادي، زارني ضيف ثقيل وهي الدورة الشهرية. كانت الدورة هي العلامة الفاصلة على انضمامي إلى عالم النساء. جريت فزعةً إلى مكتب طبيبة المدرسة لأحصل على فوطة صحية. في التسعينيات لم تكن الفوط الصحية منتشرة، كنا نستخدم قطع القماش، وما أدراك ما يعنيه هذا من انعدام راحة ومواقف سخيفة متكررة. بالإضافة إلى ذلك، لم أتحمّل طوفان الأفكار الذي أعقب دورتي الشهرية، كانت الدورة الشهرية جزءًا من أحاديث الفتيات المنحلات، لم ينبهني أحد إلى كيفية التعامل مع الدورة وتفاصيلها من آلام ونظافة شخصية. في بدايات دورتي، أدرك أبي أنني صرت امرأة، أعطاني عددًا من مجلة «طبيبك» يناقش البلوغ، إلا أن لغته المقعرة حالت دون فهمي. كرهت أنني ضمن زمرة النساء، وسئمت أنا وصديقاتي الصغيرات تصيد زملائنا الذكور لنا، إذا ما تبقت ملابسنا من الدماء. وإلى جانب السخافات المعتادة، صاحبني شعور بالسخط على

اعتباري نجسة، ومنعي من الصلاة وقراءة القرآن أو دخول المسجد. فكرة كوني مدنسة ما زالت تسبب لي الغضب والسخط.

ومع أن مدرستي كانت مدرسة تجريبية، تتبع نظامًا حديثًا وخاصة، على الرغم من أنها تابعة للحكومة، فالتعليم الجنسي أو الثقافة الصحية كما كانوا يطلقون عليها لم تطبق علينا إلا في الصف الثالث الإعدادي، كانت أغلب البنات بالفعل قد وصلن سن البلوغ ومررن بتجاربه دون إرشاد من المدرسة. أتذكر يوم جاءت الأخصائية النفسية لتشرح علامات البلوغ، حاول الفتيان السيطرة على الحدث الجلل وتحويله إلى فرصة لإحراج البنات، وما زلت مستاءة إلى الآن لأن الأخصائية لم تفصل البنات عن الفتيان. دارت برؤوسنا مئات الأسئلة لكن لم نجرؤ على طرحها خوفًا من أن نصبح أضحوكة الفصل. وتكررت هذه المواقف السخيفة مع الحملة الإعلانية عن الفوط الصحية التي أهدت كل فتاة منا علبة؛ ومع درس الدين الإسلامي عن الغسل، الذي تحدث عن جنابة النكاح لأطفالٍ لم يبلغوا 13 عامًا، بينما لم تخطط الوزارة منهج التربية الصحية إلا بعدما مر كل الأطفال بتجارب سيئة في بداية دخولهم عالم الكبار. علي الرغم من كل الأسى الذي ما زلت أحمل بقاياها داخلي، فأنا سعيدة أنني حظيت بفرصة للتربية الصحية التي يُحرم منها الكثير من المراهقين في بلدي.

ما بين المراهقة وبدايات الشباب

فرض علي تديني وتدين عائلتي إتاحة كتب معينة في المنزل، بعضها كان مرعبًا يتناول عذاب القبر والآخرة، إلا أن أكثر هذه الكتب رعبًا على الإطلاق كان عن العادة السرية أو المتعة الشخصية كما يحلو لي أن اسميها، كان غلاف الكتاب عبارة عن يدٍ تقطر دمًا، وكان الكتاب يتمحور حول حديث للرسول يقول إن «ناكح اليد» ملعون وخارج عن رحمة الله، ويسهب الكتاب في أضرار المتعة الشخصية من فقد النظر، وفقدان العذرية، إلى العقم. ما زلت أتذكر إحساسي بالذنب والقرف بعد كل مرة ألمس فيها نفسي، وصاحبني هذا الإحساس سنواتٍ، يؤرقني ويمحو حسناتي التي أجتهد في كسبها كمؤمنة. كنت أعاني وما زلت بين تلبية احتياجاتي الطبيعية، وبين إيماني. طالما وجدت نفسي أقع بين جرفي جبلين؛ بين احتياجات طبيعية لا أستطيع كبتها أو صمها، وبين تعاليم دينية تحجز لي مقعدي من النار بسبب دقائق من اللذة الخاطفة، كل هذا بجانب خوفي من عقاب أهلي. أحسست يومها أنني أخبئ سرًا إذا اكتشفه الأقربين من الناس سيعاقبونني، وعندما أقابل الله، سأقبله حاملة خطيئتي بين يدي، لأنني استجبت لرغبات جسمي الغض. ما زلت أتذكر صباحاتي التي أغتسل فيها من آثام ما ارتكبت، وفزعي من أن أوذي بكارتي. خوف وإثم وقلق صاحبوني بسبب محاولة بسيطة لإشباع رغباتي الطبيعية.

اختلفت نظرتي للأشياء وأنا أكبر، وكان أحد عوامل اختلاف الأشياء هو دخول الإنترنت لمصر، قادني وازعي الديني إلى التعلق بموقع ديني اجتماعي، وهو «إسلام أون لاين» الذي تحول منتدى الشباب فيه إلى أسئلة لا تتوقف عن الحياة الجنسية، وتحول الأطباء المجيبين المتخصصين في إجابة الأسئلة إلى خبراء في المثلية، وغشاء البكارة، وأنواع الإفرازات المهبلية. أخذوا يحرمون ما يحرمه الشيوخ، لكن بشكلٍ مغلفٍ بوعظٍ طبي. صارت أي ممارسة جنسية خارج إطار الزواج تعني اللعنة في الآخرة والمرض في الدنيا، حتى داخل إطار الزواج، حرموا الجنس الفموي وعللوا ذلك بأنه يسبب سرطان الفم والثثة.

لم يسقني فضولي إلى استكشاف الحلال والحرام على الإنترنت، انخرطت في مشاهدة الأفلام الإباحية، هالني العنف في الأفلام و المعاملة السيئة للنساء، لكن رغم ذلك، كان عالمًا يفتح أمامي. تعلمت عن أدوار النساء والرجال المتوقعة، وتشكل لدي وعي مغلوط بكمية من العنف، وانعدام أي معايير صحية أو حتى عواطف. و ظللت أختلس الأوقات لأتابع فيلم إباحي، إلى أن انتهيت بعد سنوات من التورط مع الأفلام السيئة إلى حل أفضل، وهو مشاهدة الأفلام الإباحية المعدة خصيصًا للنساء، التي ينعلم فيها العنف وتُغلف برداءٍ رومانسي إلى حد ما. وثانيةً تعقبني شبح الإثم، لكنني كنت قد تصالحت معه، وتحملت وطأته.

بدايات علاقة

لم أدخل في علاقات عاطفية حتى بلغت التاسعة والعشرين. أحببت الكثيرين، لكن من طرفٍ واحد. وحين قابلت أول حبيب كنت قد قمت بثورتي الخاصة، الموازية لثورة مصر، فأعلنت العلاقة على الفيسبوك، وتزامن ذلك مع توقيفي عن ارتداء الحجاب مما أدخلني في دوامة لا تنتهي من المشاكل مع أسرتي وأصدقائي المتدينين. استمتعت باختبار أشياء لأول مرة؛ أول كلمة حب، وأول لقاء. لم تمضِ العلاقة سلسلة في مجملها، فقد ظللنا أنا وهو نتفاوض بشأن قبلتنا الأولى، وذات يوم كان يحاول التمهيد لانخراطنا في ممارسات جنسية، فطلب مني أن أحكي له عن رغباتي وأفكاري في ما يتعلق بالجنس، استجبت وحكيت، وفاجأني بوصمي بعدم الحياء لأنني حكيت، وترني ذلك وقررت ألا أتفاعل معه.

حتى حين كنا نناقش الزواج وموانع الحمل، كان يرفض رفضًا باتًا أن أستخدم الواقي الذكري متعللاً بأنه «ليس جيدًا للعلاقة بيننا»، وكان من الأسهل له أن أستخدم أنا موانع الحمل، وأمر بكل المشاكل الهرمونية التي تتبعها. أتذكر قبلتنا الأولى، ظل يعطيني أوامر ويتأفف من خجلي المبالغ فيه، و«يعلمني» ماذا يجب أن أفعل، وما علي إلا أفعل. على الرغم من لطف الذكرى، فإن أوامره، وتسيده للموقف، أضفى عليها شيئًا سخيًا، صار يختلط بأول

ذكرى أمارس فيها تجربة جنسية. ذكورية حبيبي كانت واضحة في أفعاله كلها، لكن الجانب الحميمي كان يؤلمني أكثر، كنت أتمنى أن أجده رومانسيًا وأرق. وطالمني أشباح الندم والإثم بسبب قبلاتي السريعة، مثلما طالمني وأنا أمارس المتعة الشخصية وأتابع أفلامًا إباحية، اختلقت المتعة بالندم والشعور بالإثم.

شبكة دعم

كافأني الزمن بصديقات شكلن شبكة دعم لي، صديقات المدرسة كن متدينات لهن نفس خلفيتي، لكن صديقات ما بعد الجامعة نسويات ولا يشغل بالهن ما قاله الله أو ما قاله الرسول، يحاربن من أجل زيادة هامش الحرية المتاحة لهن في مجتمع ذكوري. خضنا محاورات كثيرة أسهمت في تغييرني بشكل كبير. أخذ التغيير وقتًا كبيرًا ليحدث، فليس من السهل الانتقال من عقلية متدينة منغلقة إلى عقلية تبحث عن الحرية والاستقلال. خضنا معنا معارك صغيرة لثبت أن بإمكاننا فعل ما يحلو لنا دون أن نضر بالآخرين، كان فعل تدخين الأرجيلة فعلًا ثوريًا، وارتداء بنطال ضيق إنجازًا. إلا أن الأيام لم تقدم لنا تحديات سهلة فقط، بل أصابتنا أحداث قسمت ظهورنا، تحديدًا مرور إحدانا بتجربة إجهاض. كانت إحدى صديقاتي في علاقة تضمنت ممارسة الجنس، إلا أن حقارة صديقها وتهاونه في شراء واقيات ذكورية جيدة أدت إلى حملها، وتهربه الكامل، وعدم دعمه لها في تجربتها القاسية. زرنا عيادات أطباء سيئي السمعة، ومررنا بسخافات كثيرة، إلى أن تعرفنا إلى طبيبة تؤمن بحرية امتلاك الجسد وصفت لها حبوب للإجهاض. أضافت هذه التجربة إلى عمرنا سنوات، لكن تضامننا كان أهم ما ساندنا وعزز قدراتنا على التماسك أمام ما واجهناه من صعاب.

امتلاك جسدي

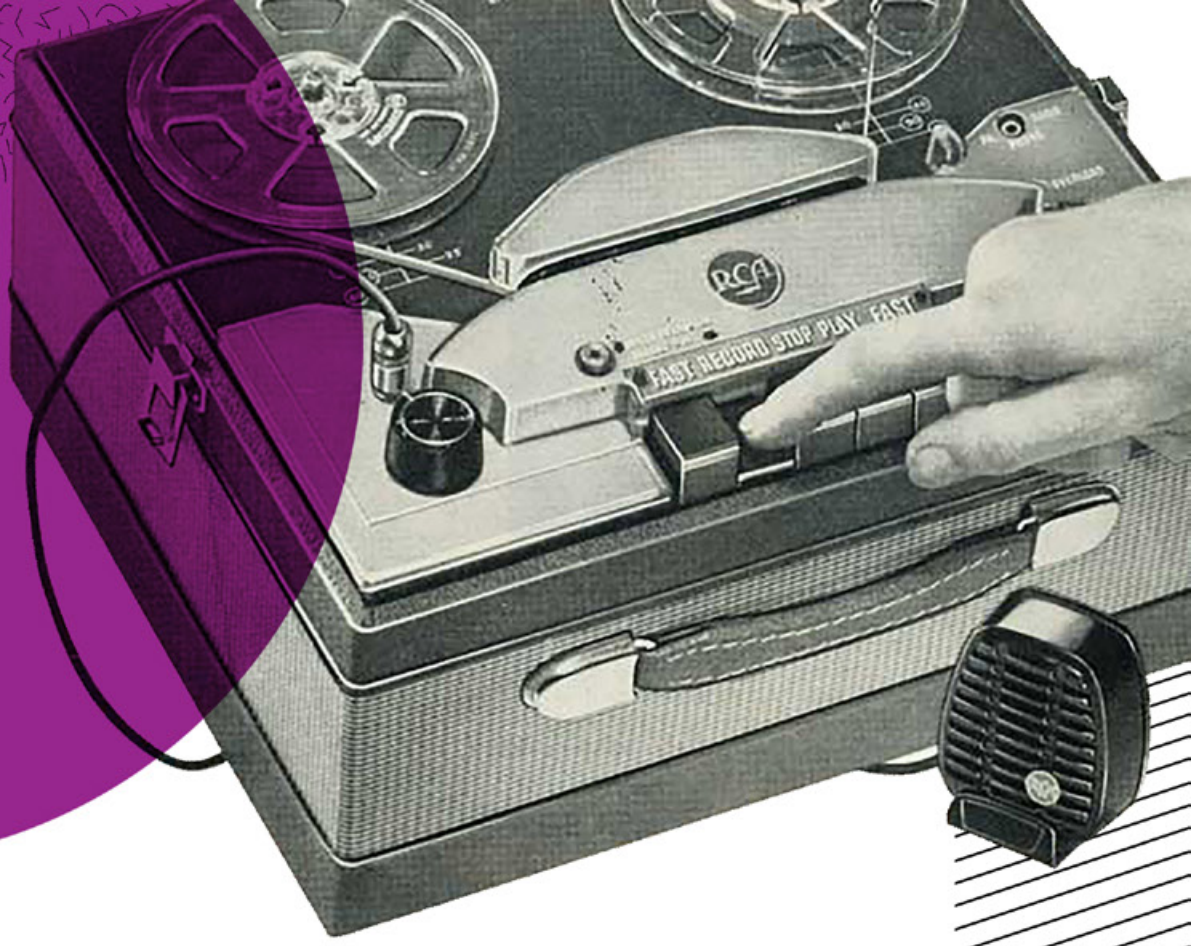
بلغت نصف الثلاثين وما زلت عذراء. لم أحسم قط جدلية العذرية. كل مرة أتخيل نفسي مع أحد رفاقي في علاقة جنسية كاملة تقفز إلى ذهني آية «والحافظين فروجهم والحافظات» أو وصف الرسول لعذاب الزناة وأن فروجهم تسيح لتشكّل أنهارًا مدنسة في جهنم. ومع أنني أخشى فقد عذرتني خارج مؤسسة الزواج، فإنني ارتضيت فعل أشياء جنسية ترضي رغباتي إلى حد ما مثل المحادثات الجنسية أو القبلات المسروقة. لكن ما يوترني بشدة، هو أنني أدعي أنني أسعى لإشباع رغباتي مع الحفاظ علي شعرة معاوية التي لا تخرجني من زمرة المؤمنين. يفرض علي الخيار الرمادي الكثير من الإحساس بالذنب وجلد الذات، فمع كل إطفاء للشهوة تأتي أسئلة تهاجم عقلي المتردد. أكره أنني لا أتحمك في جسدي، أو أملكه، وأتركه عرضة لما قال الشيخ فلان والفقهاء علان، وأكره أنني أرقص علي الحبال، فبشكل ما أرضي رغباتي وأشارك لحظات حميمة مع ذكور أغراب، لكنني أحافظ في الوقت نفسه على

هذا الغشاء الذي يصنفي «شريفة». أكره رمادية موقفي وأكره أنني أرضخ لصريخ الشيوخ وتهديداتهم، وأمقت خوفي وترددي. لا أملك إلا أن أنتظر «زوجًا» لينهي سنينًا من العذرية المُقنّعة، أنتظر رجلًا وصكًا شرعيًا لأمارس أحد حقوقي كاملًا.

خاتمة

قصصي عن حياتي، وحياة صديقاتي، وأثر سلطة الشيوخ والأصوليين فيها، تتشابه مع قصص نساءٍ أخريات في العالم الإسلامي، فنزع حجاب قد يؤجج معركة خطابية، ويؤرق شيخ فيقوم ليخطب لاعتنا الفتاة التي لم تلتزم بشعائر الإسلام، فيما يحول سعي النساء لجنسٍ أو إجهاض آمنين حياة الشيوخ إلى جحيم. لا يقتصر الأمر على الشيوخ، بل يتواطأ المتشددون مع الشيوخ فيصدر الأطباء أحكامًا أخلاقية علي الممارسات الجنسية لا تمت للطب بصلة، ويؤدي المتحابون والمتزوجون أدوارًا أبوية تجعل الحياة أصعب. ومع أن توثيق القصص يعتبر قوة وثورة ضد الأبويين الذين يراقبون أجساد النساء ويطوقونها بمئة قيد وقيد، فهي تنكأ الجروح، وتجدد شعوري بالإثم والذنب والأسى والقرف، وأتساءل لماذا يكتسب أناس قوتهم من السيطرة على أجساد النساء وتحديد خياراتهن.





عزة سلیمان: حلقة وصل

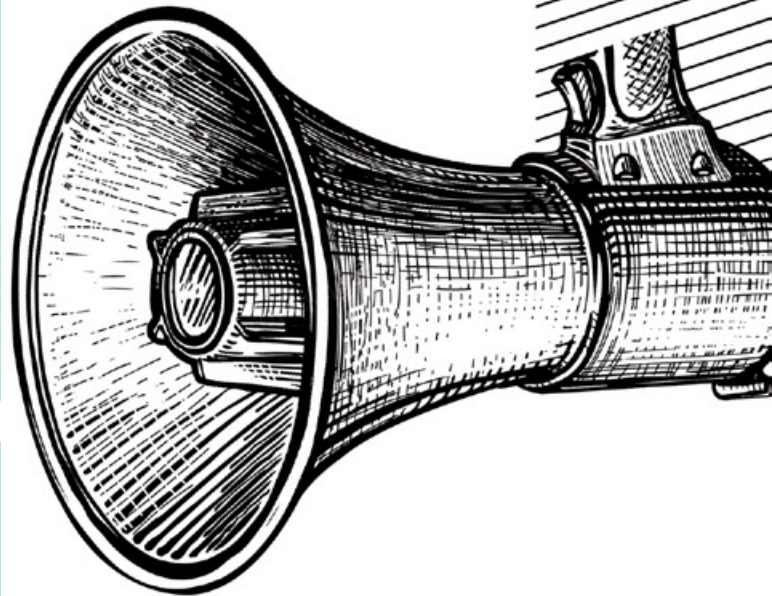
حوار تجريه دعاء عبد العال مع عزة سلیمان

دعاء عبد العال:

نسوية أفريقية بلسان عربي، مهووسة بخلق المساحات للكلام والتفكير والبحث والدراسة وتكسير الحواجز بين البشر. أحب الملوخية بالأرانب، وفي ليالي اكتمال القمر أرى الساحرات وال دراويش يرقصن/ون في سماء القاهرة على أغانٍ بالإنجليزية لفرق السبعينيات.

عزة سلیمان:

محامية وناشطة نسوية مصرية؛ شاركت في تأسيس مؤسسة «قضايا المرأة المصرية» وأديرها.



«عزة سُليمان»؛ نعرفها جميعًا كمحامية ومدافعة بارزة عن حقوق النساء، إذ عملت على مدار عشرين عامًا - وحتى الآن - على دعم القضايا التي تؤمن بها. نتعرف أكثر على رحلتها، وبداية انخراطها سياسيًا، ونمو فكرها السياسي وقناعاتها الخاصة بالعمل النسوي وحقوق المرأة. وتؤكد «دعاء» على أهمية رؤية عزة كشاهدة على انتقالين سياسيين هاميين في حركة الدفاع عن حقوق النساء في مصر؛ الأولى في مطلع التسعينيات مع بداية الانفراجة في حرية التنظيم في عهد مبارك، وحرية تكوين الجمعيات الأهلية في مصر. والانتقال الثاني مع ثورة يناير 2011 وفتح باب المناقشة حول أمور مختلفة جديدة. وعلى مدار ساعة، دار حوار مع عزة عن البدايات والتطور والتغيير والتعب.

احكِ لنا عن نشأة عزة

انا ابنة لأب داعم وحنون للغاية، وأم صارمة، وشقيقة لأربعة أخوات وأخوين. شجعنا أبي طوال الوقت على التعلم بموازاة تدليله لنا. طالما ظننت أنني سأدرس في كلية الآثار، لكن تنسيق الثانوية العامة جائي بكلية تربية قسم لغة انجليزية. ولعدم رغبتني في أن أصبح مُعلمة، راودتني رغبة في دراسة الحقوق. وقبل الالتحاق بالكلية رسميًا، نصحتني وكيلتها أن أجرب حضور إحدى المحاضرات، لأنها «كلية لا تصلح للبنات» - على حد تعبيرها. محاضرتي الأولى كان يلقيها د. يحيى الجمل، أستاذ القانون الدستوري، ووقعت في غرام الحقوق لحظتها، وقد كان.

كيف بدأ اهتمامك بالعمل السياسي؟

أثناء سنوات دراستي الجامعية، انخرطت مع المجموعات الناصرية، وعملت في حزب التجمع، ثم عملت في الحزب الناصري بعد تأسيسه عن طريق المحكمة. لم تزد مدة عملي في الحزب الناصري على عام واحد، كرهت فيه السياسة - وأكاد أجزم أنني كرهت كل شيء - حتى قدمت استقالتي منه في عام 1994.

أول احتكاكي بالأمن حدث في الجامعة، في فترة الانخراط مع الجماعة الناصرية، إذ تم استدعائي للسؤال عن أصدقاء هاربيين بعد اتهامهم مع آخرين في ما سمي وقتها ب «التنظيم الناصري المسلح». أذكر أن يداي كانتا ترتعشان، فكنت أخبئهما تحتي على المقعد كي لا أظهر لهم [المحققين] كم أنا خائفة. كان أمامي خياران بعد هذه التجربة؛ إما الابتعاد تماما

عن الانخراط في السياسة، أو أن أستمروا وأكون قوية. اخترت الثاني بدعم من أبي وقتها، الذي ساندني أمام اعتراض إخوتي. وقال لي «عزة لو سمحتي يومين متروحيش الكلية، وخلي بالك من نفسك. و لما تحبي تروحي متقوليش لأمك بس يعني ربحي نفسك.»

تزوجت وأصبحت أما في خلال عام بعد تخرجي في الجامعة، ما جعلني أتوقف عن الدراسات العليا. تطوعت بالمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، وعملت على ملف «القضية الفلسطينية» لفترة، حتى أخبرني مدير المنظمة بمشروع عن المساعدة القانونية للنساء، واختارت المنظمة منطقة بولاق الدكرور مقرا لهذا المشروع. وهنا فتحت لي بوابة أخذت من خلالها خطوة أولى في مشوار مهني بدأ منذ أكثر من عشرين عاما، ويستمر حتى الآن. قرأت قانون الأحوال الشخصية، وعملت مع النساء في المنطقة، وبكيت كثيرًا لهن ومعهن. وكان هذا العمل هو بداية إدراكي لحقيقة أن النساء حولي وفي كل مكان يعانين بطرق مختلفة.

كيف أثر هذا الإدراك على اختياراتك المهنية لاحقًا؟

ساهمت مع آخرين في تأسيس مؤسسة قضايا المرأة المصرية (CEWLA - سيولا) عام 1995. ولم أتخيل العمل خارج منطقة بولاق الدكرور لارتباطي بأهلها، ومن هنا أخذنا موقعنا في المنطقة رغبةً في تجميع نساءها والعمل معهن.

الهدف من «سيولا» كان تقديم الدعم القانوني للنساء المهمشات. وفي بداية عملنا، فرضت علينا طبيعة المكان والسياق الخاص به تقديم خدمات فصول محو أمية، كخطوة أولى للمساعدة في فتح حوار بيننا وبين المجتمع حولنا، واحترامًا لاحتياجات السكان وتقديم خدمات قابلة للتنفيذ. ثم بدأنا العمل على الوعي القانوني، وأدركنا من خلال جلسات «فضفضة» تعقيد الموقف، إذ لا ترغب كل امرأة لجأت إلينا أن ينتهي الأمر بسجن زوجها أو ابنها رغم ظلمهم لها.

بعد سنة، بدأنا نعمل مع رجال المنطقة لقناعتنا أن توعية الرجال ستخدم قضايا النساء. وخصصنا في لائحة سيولا 30 في المئة من الأنشطة للرجال. وأثار هذا الأمر حوار كبير مع النسويات والداعمين، مال رأيهم فيه لتأييد أن العمل النسوي يجب أن يكون موجهاً للنساء فقط. ووجدنا أنفسنا أمام سؤال: كيف نعمل على توعية النساء، في حين يظل الرجل على حاله بدون أي وعي؟ فالرجل ما زال لديه السلطة لمنع زوجته من الالتحاق بفصول محو الأمية بالجملة المتكررة «عليّ الطلاق انتي مش طالعة!»

وفي عام 1997، توسع عمل سيولا ليشمل مصر بأكملها. وفي نفس العام، عملنا على ما

يعرف بـ «جرائم الشرف»، ونشر دراسة مختصة بالتعاون مع إحدى الجامعات الانجليزية، عن قتل النساء باسم الشرف. وفي عام 2002، خضت نقاش آخر مع مجموعات نسوية مختلفة، عند العمل على التفسيرات الجديدة للشريعة الإسلامية.

قضية هند الحناوي قضية نسوية جدًا، ووصلت جميع البيوت المصرية من خلال التليفزيون، احك لنا عن كواليسها

قضية هند كانت محطة مهمة لأنها كانت محل حوار هام مع الناشطات والجمعيات النسوية، حول جدارتها بالتأييد وطبيعة الخطاب الذي يجب أن نتبناه. على مستوى شخصي، كان العمل عليها نقلة لي ولـ سيولا، إذ كانت تحول إيجابي لأدواتنا ورؤيتنا وقوتنا. وحذرنى الكثيرات من الحقوقيات والنسويات وقتها بأنني سأعرض للوصم بتشجيعي للعلاقات «غير المشروعة». وبالفعل، في أول لقاء لنا مع الشيخ، في جلسة تحت اسم «آثار الزواج العرفي: من يدفع الثمن في مصر؟»، كان الهجوم علي حادا. وتعين عليّ الإجابة عما إذا كان لدى هند الحناوي عقد زواج من أحمد الفيشاوي. وكان ردي «أنا مش شغلتي مين ناموا مع بعض في الحلال ولا الحرام، أنا شغلتي أدور على حقها وحق اللي في بطنها»، وكنت أغذي دفاعي بمعرفتي في الشريعة. هاجمني وقتها أحد الشيوخ قائلا: «بما إنك فاهمة في الدين قوي كده، ما تتحجبي!!»، وهاجمني بعض الأفراد من الأزهر بشكل شخصي، وأعلن أن مؤسسة سيولا تعمل «ضد الشريعة».

أحيانًا لا نكون مدركات لقوتنا كحركة نسوية، لكنني في تلك المحطة أدركت مدى قوتنا وقوة معرفتي ومعلوماتي بالشريعة والقانون وحقوق الإنسان، واستخدامها كأدوات لدعم قضايا النساء. كنت أقف نداءً أمام الشيوخ، أدافع عن نفسي وعن القضية مستخدمة حجج ابن تيمية وابن حنبل، والفرق بين الفقه وبين القرآن. وانطلاقًا من هذه القضية عملنا على تغيير قانون الطفل واستخدام تحليل الحمض النووي (DNA)، وهو ما نجحنا فيه بعد سنوات.

ما ردك على الاتهام الموجه لجييك من النسويات أنه كان «بداية التمويل»؟

ليس لدي اعتراض على أن يتم انتقادنا. وكما يوجد انتقاد لنا، فهناك أدبيات تذكر أن وجود تلك

١- في عام 2003، عرفت البيوت المصرية أسم «هند الحناوي»، التي تزوجت عرفيًا من الممثل أحمد الفيشاوي وحملت منه وعند رفضه للأعتراف بمولودتهم «لينا» لاحقًا، أخذت هند الموقف للقضاء وتم حسم القضية لصالحها عام 2006، وكانت مؤسسة قضايا المرأة إحدى أقوى الداعمين لهند قانونيًا وإعلاميًا وتعتبر تلك القضية مكسب نسوي للنساء المتزوجات «عرفيًا» وسبب لتعديلات في إثبات نسب الطفل.

الجمعيات واستخدام التمويل ساعد في طرح قضايا لدعم وخدمة وخلق ضجيج حول قضايا النساء. أتذكر في عام 2000، حين بدأنا العمل على نشر مقررات مؤتمر بيكين^٢ الذي عُقد في عام 1995، استغرق الأمر خمس سنوات من الكتابة. أذكر أيضا أن الجزء الخاص بـ «مناهضة العنف ضد النساء» في محاضرة لمناقشة التقرير، أثار سخط أساتذة من جامعتي أسيوط وجنوب الوادي، كانوا ينظرون لي أنا وعايدة سيف الدولة وماجدة عدلي باحتقار ويقولون علينا «قليلات الأدب».

اليوم بعد مرور كل هذا الوقت، نجد جمعيات نسوية تتحدث عن العنف ضد النساء في قرى مثل «أبو طشط» في قنا، «ساقلته» في سوهاج، وفي «أبو النمرس» في محافظة الجيزة. سيولا مع مؤسسات شقيقة، نشرت أول مسودات لتقرير الظل في نيويورك. كنا نعلم أنفسنا كمقاومة لتضييق الحكومة علينا وعلى وصولنا لتلك المعلومات والتقارير.

وأثرت هذه التجارب وهذا التعليم من خبراتنا وشخصياتنا. فمثلا، عزة سليمان في عام 1994 تختلف عن عام 1993، وذلك بفضل مؤتمر السكان^٣.

وفي عام 1999 تعرفت على «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة» (سيداو) التي أقرتها الأمم المتحدة عام 1981، وعملت وذاكرت لكي استخدمها وفقا للدستور في المحكمة. ثم دربت محامين شباب وشابات ليستخدما تلك الأدوات الدولية داخل القضاء الوطني. وعملنا بكثافة لمدة ثلاث سنوات في ست محافظات مختلفة. وأرى لهذه الجهود نتائج ملموسة اليوم.

لا أستطيع تجاهل كل هذه المحطات عند تقييم المجتمع المدني، وهذا لا يعني خلو المجتمع المدني من المشاكل، لكن لا بد أن يكون النقد موضوعيا، ويأخذ في الحسبان السياق الأمني الذي كنا نعمل به.

وما توقعاتك اليوم، في السياق الحالي الذي يصعب التكهن به ؟

لا يرتبط الأمر فقط بسيولا واحتمالية غلقها، فمعظم المساحات العامة تتعرض للتضييق والإغلاق. والأمر لا يقتصر على المنظمات الحقوقية، بل يمتد إلى جمعيات كثيرة، سواء

٢- عقدت الأمم المتحدة، المؤتمر الرابع للمرأة في بيكين، سبتمبر 1995، بحضور ناشطات نسويات وكان أثره الاتفاق على وضع المرأة كأولوية عند رسم مختلف السياسات، وخرجت منه مقولة هيلاري كلينتون « حقوق المرأة هي جزء من حقوق الانسان» كمقولة تاريخية تثبت بديهية حقوق المرأة. توثيق مؤسسة المرأة والذاكرة للمؤتمر:

<http://www.wmf.org.cg/wp-content/uploads/Bejin.pdf-١٥٢/٠١/٢٠١٥>

٣- عقدت الأمم المتحدة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة، في سبتمبر 1994، ويعد المؤتمر حجر أساس في النشاط النسوي حول الحقوق الإنجابية والصحة الإنجابية حيث نتج عنه برنامج عمل، اعتمده 179 حكومة، ويعد البرنامج وثيقة تاريخية، في توصيته إلى نهاية الحَدّ من النمو السكاني ووضع الأولوية للخطاب الحقوقي في السياسات التنموية- دون

<http://dawnnet.org/advocacy/cairo-declaration-and-poa>

كانت تدير حضانات أطفال أو تقدم كفالات أيتام. «أنا بتجيلنا ستات تقولنا والنبي خلونا بس نتجمع حتى لو مرة في الشهر [في جلسات الفضفضة] ده المكان اللي بيخلينا نحس بحياتنا».

أُغلقت سبعة مراكز تابعة لسيولا، مختصة بالمساعدة القانونية في المحافظات. وعلى الرغم من قلة الموارد، ظل العاملون، من محامين ومحاميات وباحثين وباحثات، صامدين لمدة أربعة أشهر بشكل تطوعي. هناك أمل مفقود والكثير من الإحباطات. أنا في فترات بحس إن أنا اتقهرت.

كيف تتعاملين مع الإحباطات الحالية في ظل كل المحطات السابقة؟

تعبت... أحياناً! هناك فترات أشعر بالقهر لأنني ظلمت وتم التشهير بي في مراحل مختلفة من حياتي، مثل الادعاء بأنني أمتلك أموالاً كثيرة. والقضية الأخيرة كان أثرها شديد عليّ وعلى عائلتي والمقربين مني. وحين بكى أخي من أجلي، «ساعتها حسيت إن في حاجة كبيرة، وفي ناس تانية متأثرة قوي إن أنا متبهدة كدة! هما بهدلوني!»

ويزيد الإحساس بالتعب خاصة إذا كان حلمي السياسي منكسر، في ظل الاستهداف الأمني للرفيقات والرفقاء والأحباء والمقربين، متكسر بتفنن النظام في إطفاء بريقنا.

فريق العمل

ساليينا أباطة

مصممة وراوية بالصورة، ولاعبة نرد باحتراف. مهووسة بالحرية والهويات، والحرية من الهويات. غير قادرة على كتابة نبذة شخصية ثابتة لإيماني العميق بالتغيير المستمر دومًا.

سالي الحق

محررة في مجموعة «اختيار» النسوية. أهوى الكلمات وإنتاج المعرفة ومراقبة صداها من شغف وشغب وتمرد.

سماح جعفر

كاتبة ومترجمة سودانية، أنشر ترجماتي في مدونتي: «الحركات». نُشرت ترجمتي لرواية «الناقوس الزجاجي» لسيلفيا بلاث، ورواية «عيونهم كانت تراقب الرب» لزورا هيرستون، وكتاب «الحشيش» لفالتير بنيامين.

مها القاضي

صحفية ودارسة للعلوم السياسية. مهتمة بالعلوم الاجتماعية والقضايا المتعلقة بتطبيقاتها، والاطلاع على المحتوى النسوي وتجارب المجتمع المدني المتعلقة بالتنمية الاجتماعية.

مي بانقا

سودانية مقيمة في القاهرة. أشارك في إدارة القسم التحريري من مجموعة «اختيار» النسوية، شاركت في تأسيس اختيار لاهتمامنا بإنتاج المعرفة باللغة العربية، التي تغطي موضوعات عن النسوية، والجنسانية، والصحة الجنسية والإنجابية، والإنترنت النسوي.

نُهير عماد

بضم النون، مترجمة ومحررة، مهتمة بالعلوم الإنسانية وكل ما يتعلق باللغة العربية عمومًا.

